Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 5 | No. 3 | Page 181 – 224 |2026 |
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

The Arab and Western Role in the Occupation of Palestine(1917-1948)

Noha Abdullah Al-Sod[1,*], Abdul Aziz Murshid [2]
[1]Department of political Science ,Faculty of Commerce and Economics - Sana'a University, Sana'a, Yemen.

***Corresponding author:** *bdalzyzalhsyn893@gmail.com*

Keywords

1. Arab role
2. Western role
3. Britain
4. Palestine
5. Jews
6. Occupation

Abstract:

The study aims to examine the role of Arab and Western powers in enabling the Jews to establish themselves in Palestine, focusing on the period preceding the Nakba and the declaration of the Israeli state. The research analyzes the main actors and the impact of their policies on the developments in the region, highlighting the Arab shift toward the West and the overt Western ambitions regarding Palestine. The study relies on the historical descriptive and analytical approach to examine official documents, correspondence, and personal memoirs of political leaders, in addition to a comparative method to identify similarities and differences between Western and Arab positions. The results indicate that the Arab and Western roles, represented by Arab kings and princes and Western governments, were jointly influential in shaping the course of events, with some Arab monarchs and princes involved in undermining Palestinian revolutionary movements, reflecting a conflict of interests with popular aspirations, especially during the 1936 Palestinian revolt and the 1948 war. The study confirms that failure was not due to a lack of popular will but to conflicting political agendas. It concludes that there is a need to reconsider the selection of political leadership and understand the reasons behind enabling the occupation to strengthen national and collective unity in facing ongoing threats.

Sana'a University Journal of Human Sciences
مجلة جامعة صنعاء للعلوم الإنسانية
Vol. 5 | No. 3 | Page 182 – 224 | 2026
https://journals.su.edu.ye/index.php/jhs
ISSN : 2958-8677

الدور العربي والغربي في احتلال فلسطين (1917-1948)

نهى عبد الله السدمي [1]*، عبد العزيز عبدالغني مرشد [1]
[1]قسم العلوم السياسية ، كلية التجارة و االقتصاد - جامعة صنعاء ، صنعاء ، اليمن.
*المؤلف: bdalzyzalhsyn893@gmail.com

الكلمات المفتاحية

1. الدور العربي
2. الدور الغربي
3. بريطانيا
4. اليهود
5. فلسطين
6. الاحتلال

الملخص:

يهدف البحث إلى دراسة دور القوى العربية والغربية في تمكين اليهود من فلسطين، مع التركيز على الفترة التي سبقت النكبة وإعلان دولة الكيان الإسرائيلي، يحلل البحث الفاعلين الرئيسيين وتأثير سياساتهم على تطورات الأحداث في المنطقة، مسلطًا الضوء على التحولات العربية نحو الغرب والأطماع الغربية العلنية تجاه فلسطين.

يعتمد البحث المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي لدراسة الوثائق والمراسلات الرسمية والمذكرات الشخصية للقيادات السياسية، إضافة إلى المنهج المقارن لمتابعة أوجه التشابه والاختلاف بين المواقف الغربية والعربية.

وتشير النتائج إلى أن الأدوار العربية والغربية، ممثلة بالملوك والأمراء العرب والحكومات الغربية، كانت مشتركة في التأثير على مسار الأحداث، مع تورط بعض ملوك وأمراء العرب في إجهاض الحركات الثورية الفلسطينية، بما يعكس تضارب مصالحهم مع التوجهات الشعبية، خاصة خلال الثورة العربية الفلسطينية 1936 وحرب 1948م، ويؤكد البحث أن الفشل لم يكن نتيجة غياب الإرادة الشعبية، بل توافق الأجندات السياسية الغربية والعربية في معظم الفترات والمواقف.

يخلص البحث إلى ضرورة إعادة النظر في اختيار القيادات السياسية وفهم أسباب تمكين الاحتلال، لتعزيز الوحدة القومية والمسؤولية الدينية لمواجهة التهديدات القائمة.

المقدمة:

تعُد فلسطينُ القضية المحورية في المنطقة العربية، والحاضرة بعمقٍ في الساحة الدولية، لما لها من أهميةٍ متجددةٍ ومكانةٍ استثنائية في وجدان الشعوب ومواقف السياسات على حد سواء. وقد شغلت هذه القضيةُ حيزًا واسعًا من اهتمامات الباحثين والسياسيين، بين متسائلٍ عن كيفية وأسباب احتلالها، ومتتبعٍ لمسارات صناعتها وتوجيهها.

ومع أن كثيرًا من الدراسات قد تركزت على دراسة العامل الخارجي (الدور الغربي والصهيوني)، بوصفهما القوتين اللتين أسهمتا في إنشاء كيانٍ ذي طابعٍ أيديولوجي مستوردٍ وغريبٍ عن طبيعة المنطقة؛ بينما أغفلت تحليل الأدوار العربية الداخلية وتفاعلاتها.

إذ ان نكبة فلسطين لم تكن نتيجة ثمرة الجهود اليهودية الصهيونية وحدها، فمنذ أن قبلت المنطقة العربية بالاستعمار الغربي ضمن الحلول البديلة لوجود الدولة العثمانية، بصورٍ وأشكالٍ شتى، كانت آثارُه على فلسطين أشد من غيرها، إذ فُتحت الأبواب أمام الهجرة اليهودية بطرائق رسمية وعلنية، مما أظهر بجلاءٍ جدية النوايا في احتلال فلسطين. وليست الأمة العربية بحاجة إلى وثائق أخرى كـ "كامبل " لتضاف إلى قائمة المؤامرات الغربية؛ فهناك ما يكفي من الأدلة والوقائع التي تدين الاستعمار الغربي وتكشف مؤامراته. فقد كان المشروعُ الرامي إلى تقسيم المنطقة إلى دويلاتٍ متعددةٍ يتبلورُ منذ اتفاق التقسيم بين بريطانيا وفرنسا عام 1916، حين بدت الخارطةُ السياسية للمنطقة في الأفق كأنها صفقةٌ تُبرم بين طرفين لا يملكان أصلًا ما يتفضلان به. فالأمةُ العربية، المنهكةُ فكريا وسياسيا عبر قرونٍ مضت، لم تكن على مستوى إدراك المؤامرة التي كانت تُحاك ضدها. مما ساعد في بروز شخصياتٍ ذات طموح سياسي لعبت دورًا محوريا في إخضاعها للقوى الغربية، من خلال إحكام السيطرة على مقومات النهوض في المجتمع العربي، مدعومين بالنفوذ الذي منحته لهم القوى الغربية، سياسيا وماديا.

حينها يُصبح العربُ على درجةٍ كبيرةٍ من التغُّرب، ففي الوقت الذي بلغت فيه الهجرة اليهودية مستوياتٍ غير معهودة، كان عددٌ من الممثلين العرب يعقدون لقاءات واتفاقيات مع زعماء الحركة الصهيونية في الإسكندرية وباريس، تهدفُ إلى التقارب والتغطية على أي تحرك عربي مناهض للمؤتمرات الصهيونية المتعاقبة، الساعية إلى إقامة كيانٍ يضم شتات اليهود، الذين كانوا قد شكلوا مصدر قلق واضطرابٍ في أوروبا قبيل الحرب العالمية الأولى.

لقد أسهمت تلك المرحلةُ في صياغة مشهدٍ سياسي جديدٍ، أتاح لبعض الأقطار العربية حقا نسبيا في تأسيس كياناتٍ مستقلة، بينما جرى استثناءُ فلسطين من هذا المسار، لتكون الضحية الأبرز في خريطة التقسيمات المفروضة، ويُشكل ذلك التحولُ أحد أخطر المنعطفات التاريخية التي ساعدت على تثبيت الكيان الصهيوني وحرمان الشعب الفلسطيني من حقه في أرضه وتاريخه. ليكون مجرد إعلان وعد بلفور وسيلة أو طريقه لإيصال الأهداف والرغبات البريطانية إلى الوعي العربي الرسمي الذي استوعب بمرور الوقت ملامح السياسات الغربية وأهدافها. أدّى إلى رسم ملامح خارطة جديدة للمنطقة، كان فاعلوها الأساسيون قادة الغرب من جهة، وبعض الأمراء

والملوك وزعماء القبائل العربية من جهةٍ أخرى، أولئك الذين أصبحوا أدوات طيعة في إعادة تشكيل جزء من غرب أسيا وفق الإرادة الاستعمارية.

ومما يلفتُ الانتباه أن التأثر العربي بالسياسات الغربية كان هو القالب السائد، لا العكس. ويمكن أن ندرج ضمن هذا الإطار التأثيري مصالح الفاعل "التابع" وطموحاته، تلك التي انسجمت – أو اندمجت – مع الأجندات الغربية الكبرى.

لهذا كان من الضروري البحث في جوهر المسألة، فليس من المنطق أن تُلقى كامل المسؤولية في احتلال فلسطين على طرفٍ واحد، دون دراسة الأدوار المشتركة التي لعبها الفاعلون الأساسيون والمحليون في المنطقة. فلسطين كانت – ولا تزال – جزءًا لا يتجزأ من هذا الوطن العربي الأوسع، وما يصيب جزءًا منه لا بد أن تنعكس آثارُه على بقية أجزائه، وإن اختلف الشكل أو ظهرت النتائج بصورةٍ مغايرة.

1- المشكلة البحثية

يركز هذا البحث على تتبع الأدوار الفاعلة في احتلال فلسطين، من خلال قراءة تاريخية تحليلية، تجيب عن تساؤلات جوهرية طالما شغلت وجدان كل عربي ومسلم، سواء كان رجلاً أو امرأة، ولهذا فقد انطلق البحث من التساؤل الرئيسي: **ما الدور الذي لعبه العرب والغرب في تمكين اليهود من فلسطين؟**

ومن أبرز التساؤلات الفرعية:

1. ما أبرز المحطات التاريخية التي عبّرت عن المواقف العربية تجاه القضية الفلسطينية ؟
2. هل اتسمت السياسات الغربية والنوايا الصهيونية تجاه فلسطين بالوضح منذ البداية؟
3. ما العوامل التي ساعدت الغرب على تنفيذ المشروع اليهودي من بداية الهجرة إلى إقامة كيان على الأراضي العربية ؟
4. كيف يمكن أن تسهم دراسة هذه التجربة التاريخية في تعزيز الوعي العربي، وزيادة فهم الأجيال عن مواطن القوة والخلل في الموقف العربي تجاه فلسطين؟

2- أهمية البحث

تنبع أهمية الدراسة البحثية في التالي:

1- أهمية موضوعية: تشريح جذور قضية فلسطين كقضية مركزية لم تُحل، وما زالت تداعيات احتلالها تهدد الأمن القومي العربي، مما يستدعي فهماً عميقاً لأسبابها الخفية.

2- أهمية منهجية: سد فجوة في الأدبيات عبر تقديم نموذج تفسيري يركز على الدور الداخلي كعامل حاسم، مُكملاً للدور الخارجي، مما يقدم تفسيراً أكثر شمولاً للنكبة.

3- أهمية تصحيحية: تقديم مادة تساهم في تصحيح الرواية التاريخية عن الآليات المشتركة لتمكين اليهود من فلسطين، مع إبراز دور الإرادة الشعبية.

3- أهمية استراتيجية: تساهم الدراسة في تقديم أدوات تحليلية لفهم التعقيدات السياسية الراهنة، من خلال كشف آليات التواطؤ التاريخي، وتقدم إطاراً لفهم الأنماط المتكررة في الصراع مع اليهود المحتلين، مما يسهم في تطوير طرق وأساليب أكثر فاعلية في المواجهات المستقبلية.

3- أهداف البحث

1- تحليل أبرز المحطات التاريخية محل البحث التي عبّرت عن الأدوار المتقاطعة للقوى الغربية

والعربية في تمكين اليهود من احتلال فلسطين خلال الفترة (1917-1948).

2- تحليل السياسات الغربية والنوايا الصهيونية المتعلقة بالبحث وحدوده، للكشف عن مدى وضوحها في استهداف فلسطين، وإبراز المواقف العربية تجاهها.

3- تحديد العوامل الرئيسية التي ساعدت الغرب في تنفيذ مشروعهم الصهيوني.

4- توظيف نتائج الدراسة في تعزيز الوعي بالتجربة العربية تجاه فلسطين، عبر الكشف عن مكامن الخلل البنيوي ومواطن القوة، بما يسهم في بلورة فهم أعمق لأسباب الإخفاق، ويفتح آفاقاً لتفكير مسؤول تجاه الواقع الراهن.

4-حدود البحث

ينحصر ويركز هذا البحث على تحليل المواقف العربية الرسمية والسياسات الغربية تجاه فلسطين. وذلك ضمن الفترة الممتدة من عام 1917م، تاريخ صدور وعد بلفور، إلى عام 1948م، الذي مثل لحظة ما بعد النكبة وتكريس واقع الدولة اليهودية. فقد وضع البحث حدوده المكانية في إطار المنطقة العربية ودوائر القرار في بريطانيا والولايات المتحدة، ويقتصر البحث على الإشكالية الرئيسية، دون التوسع في الجوانب المتفرعة من الأصل ما لم تكن ذات صله مباشرة.

5- **مفاهيم إجرائية**

- **الدور العربي:** يقصد به في هذا البحث مجموع الأفعال والوظائف السياسية والعسكرية والدبلوماسية التي قامت بها الأنظمة العربية التقليدية وملوكها وزعماؤها وسياسيها تجاه فلسطين والتي ساهمت عن قصد أو غير قصد في تسهيل تحقيق مشروع احتلال فلسطين، مع التمييز بين هذه المواقف الرسمية ومواقف الشعوب العربية التي عبّرت عن رؤيتها تجاه تلك الأحداث.

- **العرب الفلسطينيون:** هم أهالي فلسطين الأصليون، المقيمون في جغرافيتها التاريخية المعروفة حتى نهاية فترة الانتداب، والذين واجهوا موجات الهجرة اليهودية وسياسات الاستعمار البريطاني.

- **الدور الغربي:** يقصد به في هذا البحث مجموع الأفعال والسياسات السياسية والعسكرية والإيديولوجية والاقتصادية التي قامت بها القوى الغربية تجاه فلسطين، وعلى رأسها بريطانيا بصفتها دولة الانتداب، إضافةً إلى الولايات المتحدة الأمريكية و فرنسا ، سواء عبر الاستعمار المباشر أو عبر سياسات الهيمنة والدعم لمشروع احتلال فلسطين.

6-المنهجية

يعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي الوصفي والتحليلي، مدعوماً بـ منهج تحليل المضمون على عينه من المراسلات والمذكرات. إلى جانب المنهج المقارن.

7- الدراسات السابقة

تناولت عدد من الدراسات السابقة مسألة فلسطين من زوايا متعددة، أسهمت في الكشف عن جوانب مهمة من هذه القضية. وقد استفادت هذه الدراسة من عدد من هذه الأبحاث أهمها:

1- دراسة ديانا زياد القاسم:[1] تناولت في دراستها التاريخية التحليلية، المقارنة بين روايات المؤرخين الفلسطينيين الذين عاشوا الحدث وكانوا في قيادات الصف الأول في الحركة الوطنية الفلسطينية، وعرض رؤية المؤرخين حول الاحداث وبيّنت أوجه الاجماع والتباين بين رواياتهم في ما يتعلق بأبرز المحطات والمنعطفات التاريخية في المشروع الغربي اليهودي والعرب الفلسطينيين.

2- دراسة إسلام جودت:[2] والتي ركزت على تحليل طبيعة التحالف الاستراتيجي بين الحركة الصهيونية والحكومة البريطانية، خلال فترة الانتداب من خلال المشاركات العسكرية والسياسة والامتيازات التي منحتها للصهاينة خلال فترة الاستعمار البريطاني، مما وسع الفهم حول آليات التمكين الخارجي.

3- دراسة محمد أمزيان:[3] مثلت هذه الدراسة نقلة مهمة عبر الكشف عن الدور السلبي للزعامات العربية الرسمية الحقيقي، من خلال تحليل مواقفها و تناقضاتها التي أضعفت الموقف الفلسطيني أثناء الثورة ضد الاستعمار البريطاني مقدمة رؤية نقدية جريئة للعامل الداخلي العربي.

على الرغم من قيمة الدراسات السابقة، إلا ان هذه الدراسة تسعى إلى سد فجوة بحثية حاسمة تتعلق بتحليل التداخل والتواطؤ العملي بين النخب العربية الحاكمة والقوى الغربية، وكيف شكّل تحالفهما المعلن والغير معلن العامل الحاسم في تمكين اليهود من فلسطين. على عكس الدراسات السابقة التي ركّزت على تحليل أدوار هذه الأطراف بشكل منفصل، تقدم هذه الدراسة رؤية شمولية تجمع أطراف المعادلة في نموذج تفسيري موحد آليات التمكين المشترك.

1- تقسيم الدراسة

يقسم هذا البحث إلى مطلبين رئيسين، يمهد لها بمقدمةٍ تمهيدية تحدد الإشكالية والمنهج وحدود البحث، وتختتم بخاتمة تستعرض أهم النتائج وتقدم التوصيات.

المطلب الأول: الانتقال العربي من الوصاية العثمانية إلى الاستعمار الغربي وانعكاساته على فلسطين

أولا: النشاط الصهيوني-الغربي في فترة الحكم العثماني

لقد شهدت الفترة العثمانية نشاط نسبياً للهجرة اليهودية، وتساهلاً احياناً من السلطات العثمانية، التي لم تكن في جهلاً بالنوايا الغربية وما قد يمثله وجود اليهود في فلسطين من تهديد جوهري وغير طبيعي لبنية المنطقة واستقرارها. كما أن التركيز الغربي على فلسطين يُعدّ سابقًا لظهور الحركة الصهيونية ذاتها.[4]

أ - ظهور مؤشرات الاطماع الغربية في فلسطين

كانت فلسطين، كسائر الأقطار العربية، تحت الحكم العثماني منذ عام 1516م، عقب انتصار العثمانيين على المماليك في معركة مرج دابق، وقد استمر هذا الحكم لما يقارب أربعة قرون متصلة. وقد تميزت فلسطين باستقرار النفوذ العثماني فيها على خلاف بعض الأقاليم العربية الأخرى، مثل اليمن والحجاز ، التي شهدت سيطرة متقطعة

[1] ديانا زياد القاسم: المؤرخون الفلسطينيون والمشروع الصهيوني في فلسطين(1917-1948) دراسة تاريخية تحليلية، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطني، نابلس، 2021 ص1

[2] إسلام جودت: العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين 1936-1948م، الجامعة الإسلامية بغزة، رسالة ماجستير، غزة ، 2010م. ص268

[3] محمد أمزيان: دور الأنظمة العربية في اغتيال فلسطين ونكبة 1948، مجلة التمدن، المجلد1، عدد 181-193 ،جامعة مالايا ، كوالالمبور، 2021، ص181

[4] هنري لورنس: مسألة فلسطين ج1، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة 2009، ص153-154-159

واجهت رفضًا وتمردًا متواصلًا من القبائل العربية والدولة الزيدية في اليمن.[5]

أما الأطماع الغربية في فلسطين، فإنها تعود إلى ما هو أسبق من بدايات الهجرة اليهودية المنظمة، بل ترجع إلى حقب سابقة بكثير. فقد برزت المؤشرات منذ أواخر القرن الثامن عشر لتكشف عن خطورة التطلعات الغربية تجاه المشرق العربي عمومًا وفلسطين على وجه الخصوص. وقد أدرك المجتمع العربي هذه المخاطر مبكرًا، في ظل التنافس الاستعماري المحتدم بين القوى الغربية، والذي تجلى بوضوح في الحملات الفرنسية على مصر وفلسطين، وما صاحبها من تهديدات صريحة طالت العرب والمسلمين. ومن ثمّ، فإن التهديد الغربي لفلسطين لم يكن طارئًا، بل كان جزءًا من تاريخ طويل من الغزو الاستعماري للمنطقة[6].

ولم يكن التحالف الذي نشأ لاحقًا بين الساسة الغربيين والحركة الصهيونية وليد تقارب ثقافي أو ديني، بل تأسس على مصالح استراتيجية مشتركة، في مقدمتها استهداف المنطقة العربية، واتخاذ فلسطين مدخلًا استراتيجيًا للهيمنة على الشرق، مدفوعًا بنزعات بروتستانتية توراتية. وقد شكّل هذا التوجه نقطة تحوّل في استخدام اليهود كأداة سياسية بعد أن عانوا طويلًا من التهميش والتمييز في أوروبا في القرون الفترات السابقة[7].

ويُعدّ بيان نابليون بونابرت الصادر عام 1799م والموجّه إلى يهود أوروبا وآسيا أول إعلان سياسي غربي يستثمر اليهود في مشروع استعماري يستهدف فلسطين والعالم العربي. فقد دعاهم فيه إلى "استعادة أرضهم الشرعية – فلسطين"، على حد تعبيره،[8] وهو ما اعتبره مؤرخون عسكريون في جامعة تل أبيب اعترافًا مبكرًا باليهود كقوة سياسية قابلة للتوظيف في الساحة الدولية. ومع ذلك، فإن نابليون ومن تبعه من القادة الغربيين لم ينظروا إليهم سوى باعتبارهم أداة يمكن زرعها في قلب المشرق لتكون خنجرًا في خاصرة العرب وخطرًا مباشرًا يهدد أمنهم وهويتهم[9].

ومن هنا، فإن رسالة نابليون لم تكن مبادرة عابرة، بل مؤشرًا مبكرًا على أن الأطماع الغربية في فلسطين سبقت ظهور الصهيونية، وكانت جزءًا من مشروع استعماري طويل الأمد، تلاقت فيه مصالح القوى الغربية مع الطموحات الصهيونية الناشئة. وقد كان العرب مدركين لتلك النوايا، التي تجلت في مظاهر استعمارية مباشرة[10].

ب- بداية الهجرة والمؤتمرات الغربية الصهيونية

المشروع الغربي الصهيوني تجسداً عملياً في أواخر القرن الثامن عشر حيث بدأت ملامح الهجرة اليهودية إلى فلسطين، متزامنة مع بروز الحقبة الاستعمارية الغربية، وصعود التيارات القومية، وبدايات الثورة الصناعية. ويرى بعض المؤرخين أن الهجرة المنظمة قد بدأت منذ عام 1840م، لكنها أخذت في التصاعد بشكل ملحوظ مع مطلع القرن العشرين. وتشير جريدة فلسطين إلى أن عدد

[5] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان سليمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول،ط1، 1988،ص222-230

[6] محسن محمد صالح: حقائق وثوابت القضية الفلسطينية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2025، ص20-21

[7] بلال شاكر: فرنسا والقضية الفلسطينية من نابليون إلى ماكرون، دار الجنان، عمّان، 2021، ص20-23

[8] نفس المرجع، ص18

[9] محمد عاشور، رانيا مصطفى، مدحت عبد الحارث: العائلات الرسمالية اليهودية ودورها في السياسات العالمية، ببلومانيا لنشر والتوزيع، القاهرة، 2021، ص 71

[10] شاكر: فرنسا والقضية الفلسطينية، مرجع سابق، ص23-24-25

اليهود عام 1878م لم يتجاوز ثلاثة آلاف نسمة،[11] وكان أغلبهم يعملون في الزراعة ويتحدثون العربية دون أن يحملوا طموحات قومية واضحة. كما تفيد السجلات العثمانية بأن عدد سكان فلسطين عام 1881م بلغ نحو 403,795 مسلمًا، و43,659 مسيحيًا، و15,000 يهودي، وجميعهم يتحدثون العربية بوصفها اللغة الرسمية السائدة[12].

وخلال الفترة ما بين 1860–1882م، طرأ تحول في طبيعة الوجود اليهودي، إذ انتقل بعض يهود الجليل إلى القدس، بدعم مباشر من الدولة العثمانية ومن القنصلية البريطانية التي كانت حديثة العهد آنذاك، والتي لعبت دورًا بارزًا في عمليات تملّك الأراضي وتقديم الرعاية لليهود القادمين من أوروبا الشرقية والغربية.[13] وقد شكّلت هذه المرحلة ما يُعرف بالهجرة الأولى، التي أثارت قلق العرب الفلسطينيين منذ عام 1882م. ومع تزايد أعداد اليهود واتساع رقعة ملكيتهم للأراضي، بدأ الفلاحون العرب يشعرون بخطر هذا الوجود، فتوجهوا بالاحتجاج إلى الحاكم العثماني، غير أن محاولاتهم لم تلق استجابة تُذكر.[14] فقد كان الفلاح العربي الفلسطيني، وهو خاضع لحكم استعماري، يفتقر إلى السلطة اللازمة لرفض الهجرة أو التصدي لها، إذ ان السلطات العثمانية قد وضعت بعض التشريعات التي تسهل من الاستيطان النسبي لليهود، استجابة للمطالب البريطانية والصهيونية[15]

وتوالت الأحداث لتدخل مرحلة جديدة أكثر خطورة تنطوي على مشروع منظم وسياسي يستهدف الوجود العربي في فلسطين، فقد شجع الغرب انشاء ما يسمى الحركة الصهيونية التي حاول اليهود ان يظهروا من خلالها في اجواء مضطربة في الوقت الذي تكاد أوروبا أن تلفظ اليهود من شدة التوترات التي يبدو انهم كانوا سبباً فيها. وبعد ان استطاع المشروع الغربي الصهيوني ان يتكتل بعد محاولات كثيرة، ليعلن عن مؤتمراته التي بداءها بعقد المؤتمر الصهيوني الأول عام 1897، حيث أقرّ المشاركون فيه تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين. ثم تلاه المؤتمر الثاني عام 1898، الذي توسّع في طرح آليات التنفيذ، وكان من أبرز نتائجه الدعوة إلى إنشاء الصندوق القومي اليهودي، المكلّف بشراء الأراضي وتطويرها في فلسطين[16].

أما المؤتمر السابع، المنعقد عام 1903، فقد شكّل محطة مفصلية؛ إذ صدر عنه قرار صريح برفض مشروع إقامة وطن لليهود في أوغندا، مؤكّدًا أن لا بديل عن فلسطين،[17] وهو ما يكشف عن إصرار واضح لدى الحركة الصهيونية على استبعاد أي خيار بديل. وفي المؤتمر الحادي عشر، الذي انعقد في فيينا عام 1913 بمشاركة 539 مندوبًا، أقرّ اليهود الصهاينة أن الهجرة إلى فلسطين أصبحت واجبًا ملزمًا على كل يهودي، كما دعا المؤتمر إلى تأسيس الجامعة العبرية في القدس، وهو

---

(11) فدوى احمد نصيرات: الحركة الصهيونية في فلسطين 1911–1914م صحيفة فلسطين مصدرا، . جامعة فيلادلفيا ،المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عمان، العدد 40/147، 2022م.ص 20 0

(12) لورنس: مسألة فلسطين ج1، مرجع سابق، ص 88

(13) لورنس: مسألة فلسطين ج1، مرجع سابق، ص 93؛ https://tinyurl.com/mbwf7aud مواجهة الفلاحين الفلسطينيون للمستوطنين عام ١٩٠٠ 2024/6/3

(14) عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط10، 1990، ص

(15) https://tinyurl.com/2w3468zp تشريعات عثمانية مدمجة بشأن اقامة اليهود في فلسطين 2024/7

(16) صبري جريس: تاريخ الصهيونية(1862–1948)،ج1 مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1977، ص155–159؛

(17) جريس: تاريخ الصهيونية، مرجع سابق، ص170–171

ما تحقق تأسيسها لاحقًا عام 1925 في ظل الانتداب البريطاني. وخلال هذه الفترة من ظهور المؤامرة العلنية على فلسطين لم تتوقف الهجرة بل انها استمرت بوتيرة متوسطة إذا ما قورنت بالمراحل اللاحقة؛ إذ بلغ عدد اليهود في فلسطين عام 1903م نحو 55 ألف نسمة، فيما أظهر إحصاء عام 1910م أن عدد اليهود في القدس وحدها قد وصل إلى 60 ألفًا، أي ما نسبته 66% من سكان المدينة. وتشير بعض التقديرات إلى أن إجمالي عدد المهاجرين اليهود إلى فلسطين خلال الحقبة العثمانية بلغ حوالي 60 ألفًا حتى عام 1914م[18].

المفارقة أنّ هذه المؤتمرات كانت تُعقد في الوقت الذي التأم فيه "المؤتمر العربي" في باريس بين 18 و23 يونيو 1913، بمشاركة نحو ثلاثمائة عربي، من دون أن يُطرح فيه موضوع الصهيونية أصلًا، في حين ركّز على إدانة هجرة اللاجئين الأتراك القادمين من البلقان![19]وقد أثار هذا التجاهل استياء الأحرار العرب في فلسطين، الذين عبّروا عن سخطهم من غياب ذكر الخطر الصهيوني، في مؤتمر استهدف أساسًا الدولة العثمانية وتجاهل التحديات الغربية والصهيونية التي كانت تواجه المنطقة[20].

ولم يتوقف الأمر عند ذلك فحسب فقد، بدأ بعض الممثلين السياسيين العرب خلال عام 1913 بالانفتاح على الحركة الصهيونية، فعُقدت لقاءات واجتماعات هدفت إلى تبادل وجهات النظر بشأن الهجرة اليهودية إلى فلسطين[21].

وتشير هذه المعطيات مجتمعةً إلى وضوح الرؤية الغربية والصهيونية تجاه فلسطين منذ وقت مبكر، بحيث لا تترك مجريات الأحداث مجالًا للشك في أن الخطر كان قائمًا وملموسًا. وقد أدرك العديد من العرب تلك التهديدات، وإن حاول بعض الساسة التهوين منها أو التغاضي عنها، إلا أن الوقائع التاريخية تؤكد أن الخطر الغربي–الصهيوني ظل واضحًا حتى في أشد الفترات حلكة.

ثانياً: التغيرات الجيوسياسية وبروز الأدوار الفاعلة في المنطقة العربية

أ- الثورة العربية والتحول نحو الغرب

شكّل اندلاع الحرب العالمية الأولى (1914-1918) منعطفًا محوريًا في تشكُّل طبيعة العلاقة بين العرب والمصالح الاستعمارية البريطانية. ومع تدهور أوضاع الإمبراطورية العثمانية واشتداد أوصال الضعف فيها، تنامت المنافسة الاستعمارية بين القوى الغربية، وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا، على النفوذ في المنطقة. وقد بلغ قلق الدبلوماسية البريطانية من منافسيها الحلفاء (كفرنسا) مبلغَ قلقها من أعدائها المعلنين (الدولة العثمانية وألمانيا)، مما دفعها إلى انتهاج سياسةٍ قائمة على إطلاق الوعود المتناقضة والمزدوجة لضمان مصالحها. وفي هذا الصدد، يوضح آرثر مكماهون، المندوب السامي البريطاني

(18) احمد: الحركة الصهيونية في فلسطين مرجع سابق، ص200؛ الموجه الثانية للهجرة اليهودية https://tinyurl.com/zmbkhupx 2024/6/3

[19] ينظر إلى وثيقة المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمان في باريس، صادر عن اللجنة العليا لحزب،1913 ،في كل المواد والجلسات لم يطرح موضوع خطر الصهيونية من ص1 إلى ص221

[20] محمد دروزة: حول الحركة العربية الحديثة، ج6، المطبعة العصرية، صيدا، 1950 ص37

[21] المكتبة الافتراضية اليهودية: محاولة الوصول إلى اتفاق تفاهم عربي صهيوني، 1913- 1914 https://tinyurl.com/yexcnccn :5/ 2024/6

في مصر، ذلك المأزق بالقول: "كانت الإمبراطورية البريطانية في خطرٍ حقيقي، فكنا مستعدين لإعطاء وعود متناقضة كي لا نخسر أرضًا قاتلنا من أجلها، ولو لم نفعل ذلك لقضي علينا من حلفائنا الفرنسيين، إذا لم يهزمنا أعداؤنا الأتراك والألمان"[22] وكان الشريف حسين بن علي، شريف مكة وحاكم الحجاز، الطرف العربي الأبرز الذي التقت طموحاته السياسية مع هذه الاستراتيجية البريطانية؛ إذ مثَّل، إلى حد كبير، غالبية العرب الراغبين في التحرر من الحكم العثماني، حيث قاد الثورة العربية الكبرى في حزيران/يونيو 1916 بدعمٍ بريطاني، طامحًا إلى إقامة دولة عربية مستقلة ومتحدة[23] وقد استغلَّت الدبلوماسية البريطانية هذه الرغبة العربية، فدعمت ثورته عسكريًّا وماليًّا، وعقدت معه سلسلة من الاتفاقيات والمراسلات (مراسلات حسين–مكماهون) التي قطعَت فيها وعودًا غامضة وغير مُحدَّدة المعالم بإنشاء دولة عربية بعد الحرب، نظرًا لرؤيتها فيه حليفًا استراتيجيًّا يمكنه إضعاف الدولة العثمانية من داخلها، بدءًا من أماكن المقدسة الإسلامية في مكة والمدينة المنورة ذات الرمزية السياسية والدينية العميقة. سبق إعلان الثورة في 16 حزيران/يونيو 1916 تحضيرات مكثفة من الجانبين، شملت تبادل الرسائل واللقاءات بين ممثلي الشريف والضباط البريطانيين (مثل ت.إ. لورنس)، ونقل الأسلحة والأموال وتوزيعها على القبائل تحضيرًا لثورة [24] .

غير أن النتيجة النهائية لهذه التحالفات كانت مفارقةً ومأساوية؛ فبدلاً من تحقيق حلم الاستقلال والسيادة، وجد العرب أنفسهم، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى، واقعين تحت هيمنة مشاريع استعمارية جديدة مُتمثلة في نظام الانتداب، الذي أُلبس ثيابًا حديثةً من خلال عصبة الأمم، لكنه حافظ على جوهر الهيمنة[25] لقد نجحت بريطانيا، من خلال إستراتيجية "الثقة الزائفة" والوعود الملتبسة، في اختراق المشروع الوطني العربي وتركيع إرادته، عبر إقامة أنظمة وكيانات سياسية محلية تابعة، تولَّت تنفيذ أجندتها في إدارة المنطقة وضبط إيقاعاتها السياسية والاقتصادية والدينية، بما يخدم مصالح المركز الاستعماري في لندن[26].

على الرغم من المكر السياسي البريطاني الواضح، يبدو أن الدروس المستفادة لم تكن كافية لزعماء العرب حتى بعد انتهاء ثورتهم وهزيمة العثمانيين، فلم يُخفِ الشريف حسين بن علي إعجابه بالإمبراطورية البريطانية عند سيطرتها على القدس سنة 1917، مُعتقدًا أن هذا الفتح يمهد الطريق لاستقلال العرب عن الحكم العثماني وتحقيق وعود الاستقلال[27].

بيد أن التحالف العربي–البريطاني وتحريك الثورة ضد

---

[22] أحمد غنيم: وعد بلفور بين عصبة الأمم وصك الانتداب، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد 65، مركز مدار للبحاث، رام الله، 2017، ص11

[23] هنري لورنس: مسالة فلسطين، ج2، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، 2009، ص24

[24] عبد الله بن الحسين: مذكراتي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص95-96-101 ؛ يُنظر إلى رسال الشريف حسين –مكماهون، تاريخ فلسطين مرجع سابق، ملحق ص332

[25] يُنظر إلى وثائق ومراسلات في، نجدة صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مجلد4، الساقي، بيروت، 1999، ص 115-110-589-585

[26] إبراهيم عبد العال: بريطانيا والصراع العربي/ العربي خلال الربع الأول من القرن العشرين "ابن سعود والشريف حسين"، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلد 28، 105، جامعة الكويت، الخالدية،2002، ص170-171-181-185

[27] لورنس: مسألة فلسطين ج2، مرجع سابق، ص133-132

العثمانيين قد خَدَم المصالح الاستراتيجية البريطانية في المقام الأول، أكثر مما خدم المشروع القومي العربي. إذ لم يكن بمقدور بريطانيا فرض هيمنتها الكاملة على المشرق العربي في ظل وجود الدولة العثمانية، فسعت إلى إقصائها باستخدام الوكلاء المحليين. وقد تجلَّت حقيقة هذه السياسة مع الكشف عن اتفاقية سايكس–بيكو السرية (1916) بين بريطانيا وفرنسا، والتي سُرِّبت إثر الثورة البلشفية عام 1917.

وعلى الرغم من محاولات الدبلوماسية البريطانية تهدئة الشريف حسين بالادعاء بأنها مجرد "محادثات قديمة ومؤقتة"، إلا أن حقيقة التقسيم الفعلي للمنطقة تبلورت بعد الحرب بتوقيع هدنة مودروس (1918)، مما شكل صدمة كبرى لطموحاته السياسية." ولم يقابل هذا الكشف سوى اعتراض عربي شكلي، مجرد من أي فعالية سياسية أو عسكرية، وقد عبَّر وزير المستعمرات البريطاني آنذاك، ونستون تشرشل، عن موقف بريطانيا المتصلب بالقول: "إن التراجع عن التصريح [وعد بلفور] مستحيل"، مدعيًا أن الوعد "يتضمن أيضًا مصالح العرب"، ومؤكدًا على ضرورة "تأسيس شركة يهودية للاستيطان" لتحقيق المشروع الصهيوني [28] وعندما أدرك الشريف حسين أن السياسة البريطانية تتعارض جوهريًا مع طموحه في قيادة دولة عربية موحدة، رفض توقيع أي معاهدة تُكرس الانتداب البريطاني. وقد تبدو صحوة يفتقدها غيره إلا أن هذا الرفض جاء متأخرًا، بعد أن انهارت قضيته واستنفدت قوته السياسية والعسكرية[29]

شكَّلت هذه التطورات نقطة تحول خطيرة في المصير العربي، حيث شرعت بريطانيا في تأسيس نظام إقليمي جديد قائم على مبدأ "فرّق تسد". فبموجب ترتيبات سايكس–بيكو وما تلاها، أعادت بريطانيا رسم الخريطة السياسية للمنطقة، مقسمة بلاد المشرق العربي إلى كيانات تحت الاستعمار، ومستمرة في استعمار جنوب اليمن، وباسطة نفوذها على نجد والحجاز [30]. وقد أدى هذا الدور الذي لعبه العرب كشركاء غير متكافئين مع بريطانيا إلى إرساء علاقة "تبعية استراتيجية" للغرب، كانت فلسطين ثمنها الباهظ. فحصل تحول بنيوي في مفهوم السيادة، حيث انتقلت السلطة الفعلية من الإرادة العربية إلى الإدارة البريطانية المباشرة وحلفائها المحليين، لتحل محل أحلام الوحدة والنهضة دويلات هامشية متنازعة، مرتبطة باتفاقيات أمنية وتجارية مع المستعمر [31].

وفي محاولة أخيرة لاستعادة الزعامة، أعلن الشريف حسين نفسه "خليفة للمسلمين" بعد إلغاء مصطفى كمال أتاتورك للخلافة العثمانية عام 1924[32] إلا أن بريطانيا رأت في هذه الخطوة تهديدًا لمصالحها ومشروعها التقسيمي، فقررت التخلي عن حليفها السابق لصالح عبد العزيز آل سعود، المنافس التقليدي للشريف والمدعوم بشكل متزايد من لندن. وبعد سيطرة القوات النجدية على الطائف، تنازل الشريف عن العرش لابنه علي، ثم نُفي إلى قبرص على متن بارجة

[28] لورنس: مسألة فلسطين ج2، مرجع سابق، ص 358

[29] يُنظر إلى تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ملحق رسائل الشريف – مكماهون ص332

[30] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ،ص77–78

[31] ينظر إلى صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، مرجع سابق، ص531

[32] هنري لورنس: مسألة فلسطين ج3 ط2، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة،2009، ص 62

بريطانية. وفي سبتمبر 1924 سيطر ابن سعود على مكة، ثم المدينة وجدة في ديسمبر 1925، ليعلن نفسه بعد ذلك ملكًا على الحجاز ونجد وملحقاتها، تحت المظلة والسياسة البريطانية [33].

ب- التجاهل والمساهمة العربية في المخططات الغربية: مقدمات اقتطاع فلسطين

شكّلت المرحلة التالية لانهيار الدولة العثمانية وتحقيق الهدف الاستراتيجي المشترك المتمثل في إزاحتها من المنطقة العربية، منعطفاً حاسماً في تعميق طبيعة العلاقة بين النخب العربية الحاكمة والقوى الاستعمارية الغربية، ولا سيما بريطانيا. وقد وجدت الأخيرة ضالتها في زعماء جدد بعد إقصاء الشريف حسين بن علي، حيث لم تخلُ الساحة العربية من شخصيات طموحة سعت إلى كسب الرضا والشرعية من القوى الاستعمارية. في هذا السياق، برز أبناء الشريف حسين، الأميران فيصل وعبد الله، ليقوما بأدوار محورية في ترسيخ النفوذ البريطاني في المشرق العربي وفق الرؤية الاستعمارية الجديدة. فبعد دخول القوات العربية دمشق، نُصِّب الأمير فيصل ملكاً على سوريا، وخلال هذه الفترة عقد لقاءً مع زعيم الحركة الصهيونية حاييم وايزمان تحت إشراف الضابط البريطاني ت. إ. لورانس (لورنس العرب)، أسفر عن اتفاقٍ مهد لسهولة الهجرة اليهودية إلى فلسطين،[34] مما يشير إلى مبكر لطبيعة التحالفات الناشئة وتقاطع المصالح بين النخب العربية الصاعدة والمشروع الغربي–الصهيوني تحت المظلة البريطانية[35].

وفي إطار التقسيم الاستعماري الجديد للمنطقة الذي رسمته اتفاقية سايكس–بيكو، خضع العراق للإدارة البريطانية المباشرة، بينما وُضع لبنان تحت الانتداب الفرنسي. أما مصر، فقد حصلت على شكل من الحكم المحلي المحدود بعد ثورة 1919، لكنها بقيت تحت هيمنة بريطانية ثقيلة وشبه مباشرة. وقد تجسَّدت ذروة التخطيط الاستعماري الغربي للمنطقة في مؤتمر سان ريمو (نيسان/أبريل 1920)، الذي مثل انتصاراً استراتيجياً للحركة الصهيونية، حيث حظي "المقام القومي لليهود" باعتراف ودعم دولي من الحلفاء المنتصرين لأول مرة بشكل جماعي"[36] كما قام المؤتمر بترسيم حدود النفوذ بين بريطانيا وفرنسا تحت غطاء شرعية دولية مزعومة تمثلت في نظام الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم، مُجزِّئاً بذلك المنطقة العربية إلى كيانات سياسية تابعة وهشة، باستثناء شمال اليمن الذي حافظ على استقلاله ورفض استغلال الثورة ضد العثمانيين بقيادة الامام يحيى[37] ولم يكن تجاهل النخب العربية الحاكمة والقوى السياسية الفاعلة لهذه المخططات، بل ومشاركتها فيها في أحيان كثيرة، أقل خطورة من السياسة الاستعمارية نفسها. فقد تمكنت

[33] لورنس: مسألة فلسطين ج3، مرجع سابق، ص68 ؛ عبدالعال: الصراع العربي/ العربي، مرجع سابق، ص188

[34] ينظر إلى نص اتفاقية فيصل– وايزمان في، جورد انطونيوس: اليقظة العربية، ترجمه ناصر و احسان، دار العالم للملايين، بيروت، 1987، ص593

[35] لورنس: مسألة فلسطين ج2، مرجع سابق، ص 159–160 –170؛ كذلك صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936–1939، دار الهنا، دمشق،1961،ص13

[36] لورنس: مسألة فلسطين ج1،مرجع سابق، ص301

[37] عبد الله بن عامر: تاريخ اليمن مقبرة الغزاة،ج2، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، 2019، ص 388–389لورنس: مسألة فلسطين ج2 ، مرجع سابق، ص 298–300–301

بعض الزعامات المحلية من الصعود إلى السلطة باختيار وتزكية مباشرة من القوى الغربية، وسط قبول شعبي ساهم في تعميق حالة "التدجين السياسي" والقطيعة مع المشروع الوطني التحرري. وهذا التجاهل شبه العام للمؤامرات الاستعمارية، سهل عملية تمزيق الجسد العربي وتجزئته سياسياً واجتماعياً، ومهّد الطريق لاقتطاع فلسطين تدريجياً من محيطها العربي[38] وتوَّجت هذه السياسة بمؤتمر القاهرة (آذار/مارس 1921) الذي ترأسه وزير المستعمرات البريطاني آنذاك ونستون تشرشل، وبحضور الأميرين فيصل وعبد الله. وتمخض المؤتمر عن قرارات مصيرية شكلت الأساس الجيوسياسي للمنطقة حتى اليوم، شملت:

– إنشاء إمارة شرق الأردن وتعيين الأمير عبد الله بن حسين أميراً عليها.

– تثبيت الدعم البريطاني المطلق للحركة الصهيونية وضمان استمرار تدفق الهجرة اليهودية إلى فلسطين دون عوائق.

– تعيين الأمير فيصل ملكاً على العراق بهدف إخماد الثورات الشعبية، كحل براغماتي لإدارة المنطقة بأقل تكلفة بشرية وسياسية على بريطانيا. وبذلك، دشَّن المؤتمر مرحلة جديدة من الأدوار المشتركة والتبعية العضوية بين الفاعل الاستعماري والنخب العربية المحلية، كان الثمن الأكبر فيها هو عزل فلسطين تمهيداً لاقتطاعها، وتغيير ديمغرافيتها بشكل ممنهج عبر الهجرة اليهودية المكثفة تحت الحماية البريطانية المباشرة، دون وجود موقف عربي فاعل أو استراتيجية موحدة قادرة على إيقاف هذا المشروع[39] ووفقاً لقرارات هذه المؤتمرات يمكن إجمال النتائج الكارثية والهيكلية لهذه السياسات على النحو الآتي:

1. ترسيخ التجزئة السياسية: وضعت أسس النظام الإقليمي العربي المجزأ والهش تحت الهيمنة الاستعمارية المباشرة وغير المباشرة، ومنعت أي احتمال لقيام وحدة عربية حقيقية.

2. إثارة وتأجيج النزاعات: عملت القوى الاستعمارية على تأجيج الصراعات والانقسامات تحت شعارات طائفية وحزبيه ومناطقية لضمان استمرار تبعية الكيانات الناشئة وإضعاف أي تحدي لجوهر النظام القائم.

3. وضع القواعد لاستعمار فلسطين: أسست هذه المؤتمرات قواعد لما يسمى الانتداب على فلسطين وشرعنت ذلك دولياً.

جـ- الانتداب البريطاني وفلسطين: بين الهيمنة الغربية والطموحات العربية

لم تكن فلسطين بمنأى عن التحوّلات الجيوسياسية التي أعقبت هزيمة دول المركز في الحرب العالمية الأولى، وتحديدًا بعد انسحاب الدولة العثمانية منها عام 1918 إثر الهجوم البريطاني المُكثَّف بقيادة الجنرال إدموند ألنبي، والذي تمّ بدعم من القوات العربية بقيادة الأمير فيصل بن حسين ومستشاره الضابط البريطاني إ. لورانس (لورنس العرب). وقد أسهمت هذه القوات في قطع خطوط الإمداد العثمانية ومهاجمة مواقعها في الأردن وسوريا[40].

وبعد إكمال السيطرة على الأراضي العربية الفلسطينية، عملت بريطانيا على ترسيخ وجودها عبر

[38] احمد حسين، حسين طه: موقف المملكة الأردنية الهاشمية من القضية الفلسطينية، دراسة تاريخية، دار المعتز، عمّان، 2016، ص 22-23

[39] لورنس: مسألة فلسطين ج2، مرجع سابق، ص352-353-354

[40] لورنس: مسالة فلسطين ج2، مرجع سابق، ص 49-50

إضفاء شرعية زائفة على احتلالها، تمهيدًا لتحويل فلسطين إلى قاعدة استراتيجية دائمة للمصالح الغربية في قلب المنطقة العربية، وذلك على الرغم من معارضة العرب في فلسطين ومطالبتهم بالوحدة مع سوريا [41]. غير أن موقف الزعمات العربية من فلسطين كان مقترناً بالسياسات البريطانية، يُذكر أن موقف الأمير فيصل بن حسين — قبل تعيينه ملكًا على العراق — تمثّل في المطالبة شبه الرسمية بالاعتراف بمملكته في سوريا، دون أن يذكر فلسطين كجزء منها صراحة. إلا أن طموحاته اصطدمت بالرفض الفرنسي والتجاهل البريطاني، ما أدى إلى طرده من سوريا على يد الفرنسيين، بعد أقل من ثمانية أشهر، وإتمام اتفاقية تقسيم المشرق العربي بين القوى الغربية[42].

وهكذا، تمكّنت بريطانيا من بسط سيطرتها على فلسطين في ظل حكم عسكري مباشر، مستفيدةً من التنازل الضمني لبعض الزعماء العرب عن حق الشعب العربي الفلسطيني في الاستقلال، مقابل وعود—غالبًا ما كانت زائفة—باستقلال كياناتهم. وقد سهّل هذا القبول المبطن من قبل بعض القيادات العربية مهمة بريطانيا في إضفاء الشرعية الدولية على احتلالها، متّبعة في ذلك سياسات دبلوماسية مرنة قائمة على المناورة واستغلال نقاط الضعف العربية. ولم تتوانَ بريطانيا عن المضي قدمًا في تنفيذ وعد بلفور، الذي مثّل — في حقيقته — خنجرًا مغروسًا في ظهر المشروع القومي العربي[43].

كل ذلك تم عبر سياسةٍ محكمةٍ للتقسيم، جعلت من فلسطين مسرحا للصراع، وتركت العرب بلا قيادة موحدة. فعلى الرغم من كثرة المؤشرات التي تظهر نوايا الغرب وسياسته تجاه المنطقة العربية، وتزايد التحذيرات من أطرافٍ كانت بينها وبين الغرب خصومات تاريخية، في مقدمتها التحذيرات المتكررة من الجانب التركي للعرب بعدم الارتماء بثقة مفرطة في أحضان بريطانيا. غير أن الزعماء العرب ظلوا أوفياء لبريطانيا، منقادين خلف وعودها، معتقدين أن تلك التحذيرات لم تكن إلا صدى للغيرة أو رغبةٍ في بث الفرقة.[44] . وفي هذه الحالة أصبح من الطبيعي أن يُخدع معظم العرب بتصريحات المندوب البريطاني الأول على فلسطين "هربرت صموئيل" – وهو يهودي صهيوني – الذي نفى كذباً أي نيةٍ لطرد العرب من أراضيهم ومقدساتهم، متجاهلاً الخطوات الاستيطانية الفعلية التي كانت تنفذها بريطانيا والحركة الصهيونية في فلسطين، وأمام الجميع[45].

وقد سعت بريطانيا لإكمال الشرعنة الغربية في استعمارها، عبر قرار عصبة الأمم عام 1922 بالتصديق الرسمي على الانتداب البريطاني على فلسطين 1922، بغطاء قانوني صادر عن هيئة "دولية"، والملفت ان التوجه الغربي قائم من أساسه على إجراءات وخطوات لا تخلوا من دعم اليهود وتهجيرهم إلى فلسطين، فقد تم الاعتراف بالوكالة

(41) لورنس: مسألة فلسطين،ج2، مرجع سابق، ص 290-291

(42) عبد الرحمن نموس: تاريخ سوريا الحديث من (1918-2000)، زقاق الكتب، دمشق، 2022، ص 37-38

(43) ينظر إلى نص مذكرة اللورد اللبني إلى رئيس الوزراء البريطاني، في المفاوضات العربية الاسرائيلية،ج1، ص115 (لورنس: مسألة فلسطين ج2، مرجع سابق، ص323-324

(44) لورنس: مسألة فلسطين، مرجع سابق، ص354

(45) نفس المرجع، ص354

اليهودية في صك الانتداب نفسه[46] وفي الثالث من يونيو 1922، أصدرت الحكومة البريطانية "الكتاب الأبيض" الذي حاولت فيه ترويض الوعي العربي عبر تأكيد أن وعد بلفور لا يعني تحويل كل فلسطين إلى وطن قومي يهودي، بل إقامة هذا الوطن داخل أراضيها. وقد قوبل هذا التفسير برفض شعبي واسع، ولم تُجدِ محاولات بعض النخب المتمدّنة اللجوء إلى الدبلوماسية في تعديل السياسة البريطانية"[47] لتكون هذه الخطوات الترويضية التي قامت بها بريطانيا، تهدف إلى ترويض الوعي العربي بالقبول تدريجياً بمشروع الغرب ووعوده لليهود، والتي لم تكن أكثر من رسائل وتصريحات لمسؤولين بريطانيين، صيغت ووظفت لتكون قاعدة يتم الانطلاق من خلالها سياسياً في المراحل القادمة. وفي المقابل فقد واجه الكتاب الذي قدمه ونستون تشرشل رفضاً واسعاً من معظم العرب الفلسطينيين، مع ظهور بعض الأصوات من بعض المتمدنين الذين اتخذوا الدبلوماسية كحل مع سياسات بريطانيا، لكن هذه الأصوات لم تكن ذات أي تأثير على الموقف الشعبي، لانحرافها[48].

في هذه الفترة وخلال الاستعمار البريطاني لفلسطين كانت العلاقات العربية والغربية في ذروتها خاصة مع بريطانيا، فالزعماء العرب حديثي الزعامة لم يعترضوا فعلياً على القرارات التي صدرت بخصوص فلسطين، بل ان الاهتمام العربي آنذاك أنصب في تقاسم فتات غنائم التركة العثمانية، والاهتمام بتسوية الحكم والسيطرة على الوضع الداخلي في اطار التسويات والتوزيعات الغربية في المنطقة التي منحت كل جزء عربي زعيماً رمزياً تحت نفوذها المباشر[49] وفي خضم هذه الأحداث، اتسمت مواقف الزعماء العرب بالتراخي وعدم الوحدة، بل إن بعضهم — كالأمير عبدالله بن حسين — سعى إلى توسيع نفوذه الشخصي عبر مشروع "سوريا الكبرى"، الذي كان يهدف إلى ضم سوريا ولبنان وفلسطين إلى شرق الأردن. غير أن هذه الطموحات قوبلت بالرفض من البريطانيين، إذ اعتبروها خروجاً على الترتيبات السياسية التي كانت ترعاها الدولة المنتدبة في المنطقة، ولمّا أُحيط الأمير عبدالله علماً بموقف بريطانيا المعارض، تراجع عن مطالبته بضم سوريا، وحوّل اهتمامه نحو فلسطين. وتمثلت سياسته آنذاك في سعيه إلى إقناع المهاجرين اليهود بقبوله حاكماً عليهم، مقابل منحهم حصة في مؤسسات الحكم، أو الموافقة على منحهم جزءاً من الأراضي العربية الفلسطينية في حال رفضوا الانصياع لهذه التسويات. إلا أن مشاريعه هذه قوبلت بالرفض من قبل العرب الفلسطينيين وكذلك من معظم الزعماء العرب، ولا سيما في مصر المجاورة[50].

ويجدر بالذكر أن المنهجية التي انتهجها القادة البريطانيون في تعاملهم مع حلفائهم العرب قد هدفت إلى استغلال التباينات القائمة وخلق فراغ سياسي

[46] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ينظر الى صك الانتداب، ص343؛ ويُنظر إلى وثيقة صك الانتداب في ملحق اسلام جودت: مرجع سابق، ص 273

[47] القاسم: المؤرخين الفلسطينيين، مرجع سابق، ص177

[48] أمين الحسيني: أسباب كارثة فلسطين أسرار مجهولة ووثائق خطيرة، تعليق هشام عوض، دار الفضيلة، القاهرة، 2002، ص55-56

[49] السيد القائد عبد الملك بن بدرالدين: مكتب السيد، تطبيق البينات، في 19-5-1446هـ

[50] أمزيان: دور الأنظمة العربية، مرجع سابق، ص192

مشحون بالأطماع الشخصية والتنافس على النفوذ، وذلك عبر إذكاء حالة من الشقاق بين الزعامات العربية. وقد دفع ذلك كل زعيم إلى مراقبة منافسيه والسعي لكسب رضى البريطانيين بوصفهم الفاعل لأقدر على تحقيق الطموحات الشخصية، وهكذا،عملت بريطانيا على إيهام الأمير عبدالله بأنه في حال عجزه عن تحقيق جميع طموحاته، فقد يُكافأ بجزء من فلسطين يضاف إلى شرق الأردن، بينما كانت في الوقت ذاته تُشجع الأطراف العربية الأخرى مثل: (مصر والعراق والسعودية) على معارضة هذه التطلعات. يمكن القول إن السياسة البريطانية اعتمدت على استغلال التباينات والطموحات الشخصية للزعماء العرب، وتعزيز التنافس بينهم، مما شكّل بيئة خصبة لتنفيذ المشاريع الاستعمارية والصهيونية دون مواجهة مقاومة موحّدة وجادّة [51].

ثالثاً: الثورة العربية الفلسطينية (1936-1939): تمهيداتها والأدوار المشتركة في إجهاضها

يستعرض هذا القسم الإرادة الثورية، بدءًا من النشاطات الشعبية والحركات المسلحة التي سبقت اندلاع الثور، مرورًا بتصاعد الثورة وامتدادها إلى مختلف المدن والمناطق، وانتهاءً بالتدخل العربي الرسمي الذي أسهم في إجهاض الثورة. وتعكس هذه الأحداث التباين بين التوجهات الشعبية الثورية والمواقف الرسمية العربية، وتوضح الأدوار المشتركة الداخلية والخارجية وتأثيرها على مسار الثورة.

أ- ما قبل الثورة: النشاط السياسي والتحركات الشعبية المسلحة

برزت المقاومة المسلحة ضد الاستعمار البريطاني والمشروع الصهيوني في وقت مبكر، حيث شهدت القدس أولى المواجهات الدموية عام 1920، والتي أعقبتها ثورة يافا في العام ذاته[52].

ومع تزايد أعداد المهاجرين اليهود بعشرات الآلاف، وتصاعد الاحتقان السياسي، تشكلت هيئات شعبية مسلحة تولت قيادة عمليات المقاومة، من أبرزها تنظيم عُرف باسم "اليد الخضراء"*، الذي نفذ عمليات فدائية ضد المستوطنات اليهودية وفي صيف عام 1929، اندلعت ثورة البراق كرد فعل على التمدد الاستيطاني اليهودي المنظم وتوافد الآلاف إلى القدس، مما دفع الفلسطينيين إلى التصعيد من مواجهتهم، التي تجاوزت المظاهرات إلى استهداف المستوطنين، وأسفرت عن مقتل نحو ثمانمائة شخص معظمهم من اليهود[53] وتلا ذلك موجة احتجاجات وامتناع عن دفع الضرائب للسلطات البريطانية، تطورت إلى مظاهرات كبرى.

وقد وصف محمد عزة دروزة، أحد قادة النضال العربي الفلسطيني آنذاك، هذه الحركة بأنها "أولى الخطوات الجدية الصاخبة ضد الحكومة البريطانية وسياساتها، تمرداً على قوانينها وتحدياً لوجودها"، كما أنها أشعلت الحماس الشعبي واسع النطاق[54] وبالتوازي مع هذه التحركات المسلحة، شهدت الساحة الفلسطينية بروز تيارات وأحزاب سياسية، أبرزها "الحزب العربي الفلسطيني"

[51] محمد، دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، ج2، منظمة التحرير الفلسطينية دائرة الاعلام والثقافة، 1959، ص51؛ تاريخ فلسطين الحديث مرجع سابق، ص 200-202

[52] الكيال: تاريخ فلسطين الحديث مرجع سابق، ص 210-211

[53] الكيال: تاريخ فلسطين الحديث، مرجع سابق، ص 241-240؛ أمزيان: دور الأنظمة ، مرجع سابق ،ص183

[54] محمد دروزة: مأساة فلسطين، اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،1959، ص 27-28؛ أمزيان: دور الأنظمة العربية، مرجع سابق، 184

بزعامة الحاج أمين الحسيني، و"حزب النشاشيبي" الذي اتسم بميل أكبر نحو التسويات السياسية مع بريطانيا. وقد اتسم موقف بعض هذه الأحزاب بالسذاجة تجاه نوايا البريطانيين، الذين أظهروا انحيازاً واضحاً لصالح اليهود، سواء من خلال التغاضي عن العنف الموجه ضد الفلسطينيين أو عبر التمييز في تنفيذ القوانين وتقديم التعويضات[55].

واعتمدت السياسة البريطانية الاستعمارية في إدارة فلسطين على معايير مزدوجة، فعملت على تشجيع إنشاء تيارات سياسية متعددة وتضخيم الخلافات بينها، بهدف إضعاف الجبهة الداخلية العربية الفلسطينية، وقد تجلى ذلك في الصراع السياسي الداخلي بين التيارين الرئيسين: الحسينيين بقيادة الحاج أمين الحسيني، والنشاشبيين بزعامة راغب النشاشيبي. وأسهم هذا الانقسام في إضعاف المواجهة الموحدة ضد الاستعمار، وفتح الباب أمام تدخلات عربية مختلفة في شؤون العرب الفلسطينيين وطريقة تعاملهم مع البريطانيين.[56].

ومع ذلك، لم يختفِ الخيار الثوري المسلح من الساحة رغم هذه الانقسامات، حيث شرع شباب من خريجي مؤسسات القدس التعليمية وغيرها في تشكيل تنظيم سري عُرف لاحقاً باسم "الجهاد المقدس"، هدف إلى إطلاق انتفاضة مسلحة[57] وفي الوقت نفسه، تشكلت مجموعات مقاتلة أخرى في شمال فلسطين بين صفوف الفلاحين والعمال، بقيادة الشيخ عز الدين القسام، التي بدأت نشاطها المسلح عام 1935 بهجمات ضد المستوطنات اليهودية، وألحقت خسائر بشرية في صفوف المستوطنين والقوات البريطانية. واستمرت هذه الهجمات حتى تمكنت القوات البريطانية من تطويق الشيخ القسام ورفاقه، وستشهد بعد اشتباك دام[58] مع ذلك لم تستطيع بريطانيا أن تنهي فكرة الجهاد المسلح بقتلها القسام، بل أحدث تأثيراً عميقاً في الوعي الجمعي الفلسطيني، وتحول إلى رمز للتضحية والفداء. كما دفع هذا الحدث بعض التيارات السياسية إلى مراجعة حساباتها وإعادة تقييم تعاملها مع السلطات البريطانية، والاتجاه نحو تبني خطاب وسياسات أقل تقارباً مع الاستعمار[59].

ب- الاشتعال بين الإرادة الوطنية والاستقلال ومحاولات الإجهاض

1- بداية الثورة في 1936 وإجهاضها

شكّل استشهاد الشيخ عز الدين القسام عام 1935 ذروة للاحتقان المتصاعد في فلسطين، الذي تفاقم بسبب السياسات البريطانية المنحازة والمستمرة في دعم الهجرة اليهودية وانتزاع الأراضي. بحلول عام 1936، بلغ الغضب الشعبي مداه، وكانت المشهدية العربية الفلسطينية تشير إلى أن الشرارة التي ستشعل الثورة أصبحت وشيكة[60] وقد جاءت الشرارة المباشرة في إبريل/نيسان 1936، عندما امتنع أحد المقاولين اليهود العاملين لحساب الحكومة البريطانية في يافا عن تشغيل العمال العرب. أدى ذلك إلى مواجهات

[55] لورنس: مسألة فلسطين،ج3، ص 208-209

[56] الكيالي: مرجع سابق، ص247-248 ؛ مسألة فلسطين، ج4 مرجع سابق، ص80-81

[57] لورنس: مسألة فلسطين ج4، مرجع سابق، ص 89-90

[58] نفس المرجع: ص 91-90

[59] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص251-252

[60] دروزة: مأساة فلسطين، مرجع سابق، ص29-30

عنيفة بين عمال عرب ومستوطنين يهود، تطورت سريعاً إلى اشتباكات مسلحة وكمائن في عدة مدن، باستخدام تكتيكات حرب العصابات، بما في ذلك إحراق المنازل والممتلكات. وسقط خلال هذه الاشتباكات العشرات من الجرحى الفلسطينيين[61].

ونتيجة لهذا التصعيد، تشكلت "اللجنة القومية العربية" في نابلس في 20 أبريل/نيسان 1936، والتي دعت فوراً إلى إضراب عام شامل في جميع أنحاء البلاد. وبحلول 25 أبريل/نيسان، تم توحيد الصفوف مؤقتاً بين التيارات العربية الفلسطينية الرئيسية، بما في ذلك الحسينيين والنشاشيبيين، وتشكيل "اللجنة العربية العليا" برئاسة الحاج أمين الحسيني. وكانت أولى قرارات اللجنة تأكيد استمرار الإضراب حتى تحقيق المطالب الوطنية الأساسية، وهي التالي[62].

1- إيقاف الهجرة اليهودية. 2- إيقاف بيع الأراضي لليهود. 3- إنهاء الانتداب 4- إقامة حكومة وطنية تمثل العرب الفلسطينيين.

غير أن السلطات البريطانية واجهت الثورة بتصعيد عسكري كبير، حيث جلبت قوات إضافية من مصر لمحاولة قمع الثور في بدايتها بشقيها الإضراب والجماعات الثورية المسلحة ولم تكتفي بالبوليس بل إنها استدعت الجيش وجميع الألوية المتواجدة في فلسطين. ولجأت بريطانيا في الأسابيع الأولى من الثورة إلى استخدام سلاح الجو لقصف القرى بهدف كسر الإرادة الثورية للشعب العربي الفلسطيني، التي زاد اتساعها وحماسها الثوري مع الوقت. ونتيجة لهذا التعنت الاستعماري من السلطات البريطانية أدت هذه الجرائم إلى جمع كلمة العرب الفلسطينيين وتصلب موقف من تبقى من ممثلي التيارات، الذين أدركوا أخيرًا نفاق ومكر السياسة البريطانية، وقد حسم هؤلاء موقفهم ضد الاستعمار البريطاني، الذي رأوا فيه شريكًا متواطئًا مع اليهود، واعتبروه الخطر الرئيسي الذي يهدد استقلال فلسطين وجوديًا. وفي محاولة لكسب الوقت، حاول المندوب البريطاني احتواء الموقف دبلوماسياً، فدعا اللجنة العليا إلى إرسال وفد إلى لندن. إلا أن الرد اللجنة كان حاسماً: "إذا لم تتوقف الهجرة اليهودية قبل 15 مايو/أيار 1936، فإن العصيان المدني الشامل سيكون هو الخيار". وقد لاقت هذه الدعوة استجابة كاسحة من جميع شرائح المجتمع العربي الفلسطيني[63].

وفي خضم هذا المناخ، سادت الساحة العربية الفلسطينية والمحيط العربي الشعبي حالة من التعبئة الثورية والجهادية. حيث لعبت الخطابة الحماسية في الاجتماعات العامة والمساجد دورًا محوريًا في حث الجماهير وتحريضهم على الانخراط في العمل الثوري[64] بل تجاوز الأمر ذلك إلى مشاركة فاعلة من النساء، حيث تولت الشابات في القدس على وجه الخصوص مهمة إلهاب الحماس بعد انتهاء الخطباء، من خلال دعوة الرجال وتحريضهم على الانضمام إلى صفوف المجاهدين من أجل تحرير بلدهم ونيل حريته[65] وتوسعت عمليات الثوار لتشمل كامل

[61] الكيالي: مرجع سابق، ص 262- 263- 264

[62] جريدة فلسطين: القدس، العدد 42-3233 يوم الثلاثاء 21/ ابريل/ 1936م؛ لورنس: مسألة فلسطين،ج1، ص104-105

[63] دروزة: مأساة فلسطين، مرجع سابق، ص32؛ لورنس: مسألة فلسطين، ج4، مرجع سابق، ص170

[64] لورنس: مسألة فلسطين ج4، مرجع سابق، ص110

[65] نفس المرجع: ص114

فلسطين، وقامت المجموعات القتالية الثورية التي اتخذت من الجبال مقرات تتمركز فيها، بتنفيذ هجمات وكمائن ضد القوات البريطانية، وقامت بنسف خطوط السكك الحديدية والاتصالات ومواجهة الألوية العسكرية التي كانت تحاول مهاجمة نقاط تمركز الثوار في المناطق الحساسة في الأرياف والجبال. بينما قام الفدائيون بتنفيذ عمليات في المدن وقتل عدد من الضباط، وقد وصلت حدة المواجهات إلى حد إصابة الإدارة البريطانية بالشلل التام في معظم المناطق[66] ولم تكن الثورة مجرد حركة محلية، بل حظيت بتضامن شعبي عربي واسع، حيث تدفق متطوعون من سوريا ولبنان والعراق وغيرها للمشاركة في القتال. وسجلت الثورة انتصارات مهمة، منها معركة "بلعا" في 3 سبتمبر/أيلول 1936، التي أسفرت عن مقتل حوالي 100 جندي بريطاني وتدمير عشرات الآليات وإسقاط طائرتين، وفي المقابل كانت خسائر الثوار في هذه لا يتجاوز 15 شهيد، رغم فارق القوات والسلاح[67].

واستمرت الثورة الفلسطينية الكبرى في مرحلتها الرئيسية والمحورية تتقدم وتتصاعد، حيث تخللتها سلسلة من المعارك والمواجهات العسكرية العنيفة بين مقاتلي الثورة من جهة، والقوات البريطانية من جهة أخرى.[68] أسفرت هذه المواجهات عن خسائر فادحة في صفوف القوات البريطانية، تمثلت في مقتل المئات من جنودها وضباطها وتدمير عشرات الآليات والمدرعات العسكرية.

أفضت هذه النتائج العسكرية إلى تحقيق الثوار تفوقًا تكتيكيًا ملحوظًا على الأرض، فأصبحوا هم الطرف المسيطر على مجريات المعارك والمتحكم بزمام المبادرة في الميدان، مما أوقع القوات البريطانية في حيرة وقلق إزاء كيفية صد هذه التطورات العسكرية المفاجئة والمتسارعة، واستمر هذا الوضع على حاله حتى حلول الشهر السادس من الثورة في 15 أكتوبر/تشرين الأول 1936، إذ نجح التدخل العربي الذي كان على شكل وساطةً بإيقاف الثورة ممثلاً بالزعماء والملوك، وهو أمر سنتناوله بالتحليل المعمق في قسم لاحق من هذا البحث[69].

2- استئناف الثورة 1937-1939 الذروة والقمع والإفشال

بعد نجاح الدور العربي في إيقاف الثورة، شُكلت "لجنة بيل" البريطانية للتحقيق في الأسباب التي دفعت العرب الفلسطينيين إلى الثورة والتمرد على الاستعمار. وفي يوليو/تموز 1937، أصدرت اللجنة تقريرها الذي أوصى بتقسيم فلسطين إلى ثلاث كيانات: دولة يهودية، ودولة عربية، ومناطق استراتيجية (بما فيها القدس) تبقى تحت الانتداب[70] وقد قوبل هذا التقرير برفض قاطع من اللجنة العربية العليا والقوى الوطنية، التي اعتبرته خرقاً صريحاً للوعود العربية والمواثيق الدولية[71].

[66] محمد لبادة النابلسي: ثورة فلسطين الكبرى، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، صدرت الطبعة الأولى عام 1936، ص42-43

[67] صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين، مرجع سابق، ص133

[68] نفس المرجع،ص134

[69] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص277؛ أمزيان: مرجع سابق، ص 183؛ كذلك مذكرات الحاج امين، مرجع سابق، ص26

[70] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص284

[71] القاسم: المؤرخون الفلسطينيون، مرجع سابق، ص191

وشكّل إصدار التقرير الداعي لتقسيم فلسطين، بالإضافة إلى استمرار السياسات البريطانية الداعمة لليهود، القوة الدافعة لانطلاق المرحلة الثانية والأكثر عنفاً من الثورة العربية الفلسطينية. وقد اندلعت شرارتها الأولى باغتيال حاكم لواء الجليل البريطاني، "لويس أندروز"، في 26 سبتمبر 1937، كرد فعل مباشر على سياسات الاحتلال ومحاولة التقسيم[72] وبتاريخ 15 أكتوبر 1937، أعلنت قيادات المقاومة، وعلى رأسها منظمة "الجهاد المقدس" بزعامة عبد القادر الحسيني، استئناف الكفاح المسلح بشكل منظم وواسع النطاق[73] وسرعان ما امتدت المواجهات لتعم كافة أرجاء فلسطين، وصعدت من الهجمات على البنية التحتية الحيوية للقوات البريطانية، بما فيها تفجير أنابيب شركة بترول العراق البريطانية، ولم تمضِ أسابيع قليلة حتى أصبحت المواجهات أكثر شدة مع القوات البريطانية، التي كانت تحشد الآلاف من جنودها لمواجهة الثوار [74]. وبحلول عام 1938، بلغت الثورة ذروتها، حيث سيطر المجاهدون على معظم الأرياف والمناطق الجبلية، وكادت القوات البريطانية تنحصر داخل المدن الكبرى،[75] وبلغت جرأة الثوار حد دخولهم إلى مقرات القوات البريطانية نفسها، كما في حادثة اغتيال الضابط البريطاني "موفات" داخل مقره[76] .

وفي مواجهة هذا التصعيد، شنّت السلطات البريطانية حملة قمعية وحشية غير مسبوقة. فأعلنت حالة الطوارئ، واعتمدت سياسات عقابية جماعية، شملت إعدام 146 فلسطينياً، والحكم بالسجن المؤبد على نحو ألفي آخرين، وهدم ما يقارب 15 ألف منزل، واعتقال نحو خمسين ألفاً، إضافة إلى ملاحقة القيادات السياسية ونفيهم من فلسطين، وقد مثّل هذا القمع الهمجي محاولة يائسة لكسر الإرادة الشعبية. وبعد ما يقارب العامين من المواجهات المستمرة، وخسائرها الباهظة، أعلنت بريطانيا في 9 نوفمبر 1938 عدولها الرسمي عن خطة التقسيم، في محاولة لتهدئة الأوضاع. وقد قبل الممثلين السياسيين، هذا الإعلان كمنجز، ودفعوا نحو إيقاف الثورة واللجوء إلى طاولة المفاوضات التي دعاهم إليها العرب وبريطانيا في لندن، والتي انتهت بإصدار "الكتاب الأبيض" لعام 1939 والذي سنتناول مخرجاته لاحقاً[77].

وبهذا، يتم إفشال الثورة عن طريق جرها إلى المفاوضات ويتوقف مشروع الاستقلال العربي الفلسطيني بتوقف الثورة التي كلّفتهم أكثر من 6000 شهيد خلال عامي 1938 و1939[78] بينما كانوا على بعد خطوات من تحقيق نصر كبير، بيد أن النتيجة التي حققها العرب الفلسطينيين في نضالهم الثوري، أن هذه الثورة أثبتت، رغم إجهاضها، قوة الإرادة التي حملها العرب الفلسطينيون وشجاعتهم الفائقة، ودحضهم أي ادعاءات بتخليهم عن أرضهم دون قتال، وكشفت بوضوح التناقض الصارخ بين نضالهم الشعبي وبين موقف وتواطؤ الأنظمة العربية

[72] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص287

[73] الحاج امين الحسيني: مذكرات، الأهلي، دمشق، 1999 ص 36-37 ؛ الكيالي مرجع سابق، ص 273-274

[74] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق، ص 38-39

[75] لورنس: مسألة فلسطين ج4، مرجع سابق، ص208

[76] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق، ص39 ؛ دروزة؛ ،مأساة فلسطين ،مرجع سابق، ص48

[77] دروزة: مأساة فلسطين، مرجع سابق،ص49-50-51

[78] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق، ص40، واخرين

التقليدية والزعامات.

جـ – التدخل العربي لإجهاض الثورة: التباين بين الخطاب والممارسة

إزاء الزخم الشعبي الفلسطيني المتصاعد، والمفارقة العربية يقول المؤرخ الألماني غودرون كرايمر: "**إن هناك تبايناً كبيراً بين ردود الفعل الشعبية والرسمية في العالم العربي. ففي الوقت الذي كانت الحكومات العربية مهتمة أساسا بالحفاظ على علاقتها ببريطانيا وفرنسا على حساب العرب الفلسطينيين الذين كانوا في الدرجة الثانية في التفكير العربي، كانت ردود الفعل جدا مختلفة لدى الجمهور العربي الذي كان أكثر التزاماً بفلسطين**"[79] يُشير المؤرخ الألماني إلى التباين الواضح بين المواقف العربية المعلنة، التي تدّعي دعمها للعرب الفلسطينيين واستقلال فلسطين، وبين الممارسات الفعلية التي تناقض ذلك الدعم. ويروي الحاج أمين الحسيني، أبرز الممثلين السياسيين للثورة الفلسطينية، في مذكراته، أن إيقاف الثورة جاء استجابةً لرغبة ملوك وأمراء العرب[80].

1- التدخلات المبكرة وإجهاض الثورة بالوساطة العربية

زمع استمرار الإضراب العام وتصاعد وتيرة الأعمال الثورية في المراحل الأولى من ثورة 1936، شهدت الساحة السياسية تحولاً ملحوظاً في طبيعة التدخل العربي، حيث انتقل الدور العربي من مجرد بيانات تضامن وإدانات لفظية إلى وساطات عملية مؤثرة وفاعلة. وقد اتسمت هذه المرحلة بمبادرات من بعض الزعماء والملوك العرب، سعوا من خلالها إلى احتواء الثورة وكبح جماحها، بدلاً من دعم مطالبها المشروعة. وفي هذا السياق، برزت بشكل خاص تحركات الأمير عبد الله بن حسين، أمير شرق الأردن، الذي بادر بدعوة أعضاء اللجنة العربية العليا إلى العاصمة عمّان. إذ قدم الأمير عبد الله نفسه وسيطاً محايداً يسعى لتحقيق توافق بين القيادة العربية الفلسطينية والسلطات البريطانية، محاولاً إقناع العرب الفلسطينيين بوقف التحركات الثورية والعودة إلى الهدوء، مقابل وعود بلقاء اللجنة الملكية البريطانية. غير أن جهود الوساطة هذه لم تلقَ نجاحًا يُذكر، وذلك لأنها جاءت في مرحلة اتسم فيها الموقف البريطاني بالصلابة والرفض الواضح. فقد تجسد هذا الموقف في تصريح أوروميسي غور، مسؤول شؤون المستعمرات البريطانية، في التاسع عشر من يونيو عام 1936، والذي أعلن فيه رفض مجلس العموم البريطاني مناقشة مطالب الثوار أو الاستجابة لأي من نداءاتهم[81]

ويمكن تفسير فشل الوساطة بأن السلطات البريطانية لم تكن قد أدركت بعد حقيقة قوة الإرادة والتصميم الذي اتسم به الثوار. في هذا السياق، يمكن اعتبار وساطة الأمير عبد الله محاولةً لاستكشاف مدى متانة وثبات الموقف الثوري، أكثر من كونها مبادرة جادة لتحقيق مطالب العرب الفلسطينيين العادلة. لقد هدفت هذه الوساطة، في جوهرها، إلى احتواء الثورة وكسب الوقت[82].

لم يكن موقف الملك السعودي بمنأى عن السلبية في تعامله مع الثورة العربية الفلسطينية، حيث تشير الوثائق إلى أن الحكومة البريطانية مارست ضغوطاً

[79] أمزيان: دور الانظمة العربية، مرجع سابق، ص 184

[80] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق، ص26

[81] لورنس: مسألة فلسطين ج4، مرجع سابق، ص 114-115-116

[82] أمزيان: دور الأنظمة العربية، مرجع سابق ،ص 185

مباشرة على الملك عبد العزيز آل سعود. فكما يذكر الكاتب اليهودي مايكل كوهين، قام مكتب الخارجية البريطانية بإبلاغ الملك عبد العزيز بشكل واضح بأن "بريطانيا لن تخضع لتهديد الثوار"، مع التلميح بأنه "يستطيع خدمتهم بإقناعهم بوقف التمرد[83] الأمر الأكثر إثارة للجدل يتمثل في اللقاء الذي تم بين دافيد بن غوريون، القائد اليهودي الصهيوني البارز، وفؤاد حمزة، المدير العام لوزارة الخارجية السعودية، في أبريل 1937[84] وقد جاء هذا اللقاء في إطار سلسلة من اللقاءات التي كان يعقدها القادة الصهاينة مع مسؤولين عرب، كان بعضها يجري تحت رعاية أمير شرق الأردن. وعلى الرغم من أن المصادر تشير إلى تحفظ الجانب السعودي من مثل هذه اللقاءات وإلى عدم إثمارها عن نتائج ملموسة، إلا أن مجرد حدوثها يشير إلى وجود قنوات اتصال بين الطرفين في وقت كانت فيه الثورة العربية الفلسطينية في أوجها. هذه التحركات السعودية، بين الاستجابة للضغوط البريطانية والانخراط في لقاءات مثيرة للجدل مع القادة الصهاينة، تظهر التعقيد في الموقف الرسمي السعودي وتأثره بالاعتبارات السياسية والعلاقات مع بريطانيا، على حساب الدعم الفعلي للثورة[85] بالنسبة للموقف المصري الذي اتسم بالسلبية والحياد المتعمد من الثورة، التي تزامنت مع صعود الملك فاروق الأول إلى العرش. ورغم أن الملك كان قاصراً لم يتجاوز سنه السادسة عشرة، فإن تمثيل الموقف الرسمي كان منوطاً بالحكومة آنذاك. وقد تجسد هذا الموقف بشكل خاص في سياسات حكومة حزب الوفد، التي قادت البلاد خلال جزءٍ هام من تلك الفترة، فقد كانت غارقة إلى أذنيها في كسب الرضى البريطاني، حيث وجهت كامل اهتماماتها في المفاوضات مع البريطانيين، والتي توجت بتوقيع معاهدة 1936 في 26 أغسطس، إضافة إلى ذلك، حرصت الحكومة التقليدية المصرية على عدم إثارة قضايا خارجية من شأنها أن تعكر صفو علاقتها الاستراتيجية مع بريطانيا، التي كانت الحليف الأهم لمصر في تلك المرحلة. لذا، آثر الساسة المصريين التزام الصمت والحياد حيال تطورات الثورة في فلسطين، تجنباً لإثارة استياء البريطانيين أو تعريض مصالحهم للخطر.[86] ومن النتائج المباشرة لهذه المواقف أنها منحت البريطانيين طمأنينة إضافية، حيث أدركوا أن العرب . بما فيهم مصر . لن يقدموا على دعم فعلي وعلني للثوار. فقد استغلت بريطانيا هذا الموقف العربي المتخاذل بشكل كامل، حيث رأى المسؤولون البريطانيون أن "الثقة والطمأنينة من الجانب العربي متقدمة"، مما شجعهم على تجاهل تبعات إجراءاتهم القمعية ضد العرب الفلسطينيين. إذ بلغ التعنت البريطاني ذروته في رفض مقترح عربي يقضي بإيقاف الهجرة اليهودية مؤقتاً لاحتواء السخط الشعبي، وذلك لأن البريطانيين كانوا على ثقة من عدم وجود رد فعل عربي حقيقي يخشونه[87] على الرغم من التعنت البريطاني الواضح، استمرت المساعي العربية للوساطة، حيث تولى نوري السعيد، وزير الخارجية العراقية وذي العلاقات الوثيقة

[83] نفس المرجع، ص185

[84] لورنس: مسألة فلسطين ج4، ص143

[85] نفس المرجع، ص 143-144

[86] محمد فريد: معاهدة 6391 واثرها في العلاقات البريطانية حت نهاية الحرب العالمية الثانية، الزهراء للأعلام (اصدار اصلي جامعة ميشيغان)، 2007 ،ص100

[87] لورنس: مسألة فلسطين،ج4 مرجع سابق،ص114

مع البريطانيين، المهمة بعد فشل وساطة الأمير عبد الله. وما يلفت الانتباه أن السعيد تحرك إلى فلسطين بواسطة طائرة حربية بريطانية، في إشارة واضحة إلى طبيعة التحالف القائم بين الوساطة العربية والمصالح البريطانية.[88] وفي 12 أغسطس، التقى السعيد بالمندوب البريطاني في القدس، ثم في 23 من الشهر نفسه اجتمع بمسؤولي حزب الاستقلال (بمن فيهم عوني عبد الهادي ومحمد دروزة) في معتقلهم. وقد قدم وعوداً بريطانية بوقف الهجرة اليهودية وإصدار عفو عام مقابل إنهاء العنف، مؤكداً أن لا أمل في أكثر من ذلك؛ بل إنه تجاوز ذلك إلى عرض رؤيته حول تقسيم فلسطين، والتي قوبلت بالتحفظ من القيادات العربية الفلسطينية[89] حينها ظنت اللجنة العربية العليا أنها حققت إنجازاً مهماً، لكنها فوجئت بإعلان الحكومة البريطانية الرسمي نفي أي اتفاق لوقف الهجرة. إذ أن وساطة السعيد لم تكن سوى أداة خداع تكتيكي لسحب الثورة إلى مربع المفاوضات المغلقة، وكسب الوقت لصالح البريطانيين. لم يكن الدور اليهودي الصهيوني، بدعمه الغربي (ولا سيما الأمريكي الناشئ)، بمنأى عن المشهد السياسي آنذاك. فقد عمل هذا التحالف على ممانعة أي قرار بريطاني من شأنه أن يُحقق إنجازاً نسبياً للعرب الفلسطينيين، ولو كان محدوداً، كالموافقة على إيقاف الهجرة اليهودية إلى فلسطين. وبفعل هذه الضغوط، جاء الرفض البريطاني لمطالب الثوار مسنوداً بتأييد غربي شبه مطلق، باستثناء مواقف فردية محدودة لا تأثير يذكر لها[90].

وقد أسهم هذا الدعم الخارجي القوي في زيادة فاعلية الدور العربي، للقيام بدور الوساطة. وكان الهدف المزدوج هو إخراج بريطانيا من مأزقها العسكري والسياسي، الذي أوقعها فيه صلابة الموقف الثوري وعنفوانه، من جهة، واحتواء الثورة قبل أن تصل إلى نقطة اللاعودة، من جهة أخرى.

فقد وجدت القوات البريطانية، وهي تمثل إحدى أعتى الإمبراطوريات في ذلك الوقت، نفسها عاجزة عن قمع الثورة بالقوة العسكرية الخالصة، إذ كان كل عمل عسكري منها يزيدها اشتعالاً وتصعيداً. مما وضع الإدارة الاستعمارية أمام خيارين: إما الرضوخ الجزئي لمطالب الثوار، أو مواجهة انفجار ثوري أوسع يهدد مصالحها الحيوية في عموم المنطقة العربية.

بيد أن هذا المسار التصعيدي لم يكن ليتواصل، وذلك بسبب نجاح التدخلات العربية الدبلوماسية التي سعت إلى إجهاض الثورة في مهدها[91] ففي الشهر السادس من التصعيد الثوري، تكللت المساعي الدبلوماسية للزعماء العرب بالنجاح في إيقاف الثورة، وذلك من خلال وساطة مكثفة قادها عدد من الملوك والأمراء. وقد وجه هؤلاء الزعماء نداءً إلى اللجنة العليا العربية في فلسطين، التي كان يترأسها الحاج أمين الحسيني، طالبين فيه "إيقاف الفوضى ووقف سفك الدماء" – وفق تعبيرهم – وذلك بناءً على وعود بريطانية بتحقيق مطالبهم المحقة والمشروعة. وجسدت هذه الوساطة في مذكرة رسمية خُتمت بتوقيعات أولئك

[88] نفس المرجع: ص115-116

[89] نفس المرجع، ص116

[90] نفس المرجع ، ص121-122

[91] لورنس: مسألة فلسطين ج4، مرجع سابق، ص123-124 واخرين

الحكام، وأُرسلت إلى رئيس اللجنة العليا.[92] وقد أسفرت هذه المبادرة عن نتيجة سريعة، حيث أعلنت اللجنة العليا عن وقف جميع التحركات الثورية في الخامس عشر من أكتوبر، بعد خمسة أيام فقط من تلقّي المذكرة، وذلك استجابة للضمانات التي قدمها الزعماء العرب والوعود البريطانية المرتبطة بها [93] كما اصدر الثوار الجهاديين بياناً بقيادة فوزي القاوقجي يوضح ما عزموا عليه استجابة للأمراء والرؤساء، وفي بيان لهم هذا نصه:

"إن قضية فلسطين المقدسة، بعد نداء ملوكها وأمرائها العرب وتعهدهم وضمانهم في إنالة البلاد حقوقها. وما كان الخصم ليصغى إلى النداءات أو يقبل المهادنة لولا الضحايا التي قدمت في انتصار المعارك الأخيرة، ولولا هذه الانتصارات لكان مصير التوسط الأخير كمصير التوسط الذي رده الخصم باستهتار، معتمدا في ذلك على نجداته الكبيرة التي قرر إدخالها الميدان وأمل بوجودها القضاء على الثورة.

..لهذا ترى قيادة جيش الثورة اعتمادا على ضمانة الملوك والأمراء، وحفظا لسلامة المفاوضات، ولعدم جعل أية ذريعة للخصم يتذرع بها للعبث في الحقوق المضمونة، أن يترك الميدان، مرابطا بجميع قوات الجيش بعد أن لم يبق له أي عمل، ."[94] بيد ان الحقيقة هي انهم قد خدعوا أيضاً كما خدع اللجنة العربية العليا، وتوقفوا عن ترتيب صفوفهم وحشد المقاتلين، ولم يتبقى لهم سوى توجيه تطلعاتهم الى اللجنة البريطانية برئاسة اللورد "إيرل بيل" التي عقد فيها الملوك والأمراء العرب، أمر فلسطين وأهلها بما ستقرره[95] غير أن ثقة اللجنة العليا في بريطانيا لم تكن بمستوى ثقة الزعماء العرب، حيث يروي الحاج أمين الحسيني في مذكراته: "إن خيارهم كان يميل إلى مقاطعة اللجنة البريطانية، إلا أنه بعد الاستشارات التي تلقوها من العرب لم يسعهم سوى النزول عند رغبة الملوك والأمراء والاتصال باللجنة[96] ويقول الحاج أمين في شهادته الحية انه وأثناء عمل لجنة بيل، أرسلت اللجنة العربية العليا عدة وفود دبلوماسية لتنسيق المواقف، منها وفد إلى العراق عاد محملاً بتأكيدات بعدم مقاطعة اللجنة البريطانية، ووفد آخر إلى السعودية التقى بالملك عبد العزيز آل سعود وتلقى منه توصيات مماثلة بعدم مقاطعة لجنة بيل[97] وفي منحى آخر، خلال الأشهر الستة التي عملت فيها لجنة بيل، إذ تلقت معلومات استخباراتية عن وجود جماعات محلية تستعد لاغتيال قادة بريطانيين في حال لم تُوقف الهجرة اليهودية. وللتحقق من صحة هذه التسريبات، توجهت اللجنة إلى الأمير عبد الله في عمّان، حيث أدلى بشهادته معبراً عن عمق علاقات الصداقة بين العرب والبريطانيين![98].

ولما انتهت لجنة بيل من عملها وأصدرت تقريرها بتقسيم فلسطين، خيم الإحباط على العرب الفلسطينيين، إذ لم يحقق التقرير أيًا من تطلعاتهم أو

[92] أمزيان: دور الانظمة العربية، مرجع سابق،ص185

[93] النابلسي: ثورة فلسطين الكبرى، مرجع سابق، ص64 ؛ كذلك

الحاج امين: مرجع سابق، ص26

[94] بيان القيادة العامة للثورة العربية في سوريا، وثائق فلسطين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية www.palestine-studies.org

[95] جودت: العلاقات الصهيونية البريطانية، مرجع سابق، ص37-38

[96] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق، ص127

[97] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق، ص27-29

[98] لورنس: مسألة فلسطين،ج4،ص142

حقوقهم المشروعة، بل مثل تجسيداً لكل مخاوفهم التي كانوا يتوقعونها[99] أما في ما يخص قرارات التقسيم فقد اتسم الموقف العربي بالضبابية والمراوغة من قرارات اللجنة، لا سيما في مراحله الأولى، حيث شهدت المواقف الرسمية تردّدًا واضحًا، قبل مؤتمر بلودان، باستثناء موقف العراق المنفرد والصريح بشجب خطة لجنة بيل، دون أن يحقق ذلك نجاحاً في استقلال فلسطين[100].

وقد كشف هذا المسار كله كيف تم استخدام النفوذ والوساطة العربية ليس لدعم الثورة، ولكن لإجهاضها وخداع شعب كان على بعد خطوات من انتصار تاريخي. وهكذا، أصبح الدور العربي السلبي أداة فعّالة في يد البريطانيين لكبح جماح الثورة وإجهاض مطالبها، حيث ضمنت بريطانيا من خلاله استمرار سياساتها الداعمة للمشروع تمكين اليهود من فلسطين دون مواجهة عواقب حقيقية على صعيد علاقاتها مع الحكومات التقليدية العربية.

2- إفشال الثورة في مرحلتها الثانية: المفاوضات العربية والوعود البريطانية

بعد استئناف الثورة الفلسطينية إثر صدور توصيات لجنة بيل الملكية (Peel Commission) في يوليو 1937، وجّهت اللجنة العربية العليا نداءً إلى ملوك وأمراء العرب طالبةً دعمهم، مستنهضةً في خطابها "قدسية المقدسات والنخوة العربية" للتحرك العاجل لمواجهة خطر الاستيطان والتقسيم. وقد جاء هذا النداء في سياق تاريخي اتسم بتناقض واضح، إذ إن هؤلاء الحكام أنفسهم كانوا قد لعبوا دور الوساطة لوقف المرحلة السابقة من الثورة العربية الفلسطينية، وربطوا مصداقيتهم آنذاك بضمانات قدّموها للعرب الفلسطينيين[101].

وعليه، مثّلت توصيات لجنة بيل اختباراً مباشراً لجدية تلك الضمانات العربية والبريطانية التي جرى الترويج لها خلال فترة الوساطة. غير أنّ بريطانيا كانت قد استعدّت مسبقاً لموجة جديدة من الثورة، فدفعت بتعزيزات عسكرية غير مسبوقة وصل تعدادها إلى نحو سبعين ألف جندي، مدعومين بسلاح الجو والمدرعات، كما عملت على تعزيز القدرات العسكرية للمنظمات اليهودية[102] وعلى رأسها "الهاجاناه". وقد شكّل صيف عام 1937 نقطة تحوّل نوعية في بنية هذه المنظمة، حيث بدأت بالتأسيس لقوة شبه نظامية منظمة، تمهيداً لمواجهة الثوار العرب[103] في المقابل، انتهجت السلطات البريطانية سياسة قمعية استهدفت تفكيك القيادة السياسية للحركة الوطنية الفلسطينية. ففي 30 سبتمبر 1937، أصدرت قراراً بحل اللجنة العربية العليا وكافة اللجان التابعة لها، وشرعت بملاحقة قادتها ونفي معظمهم إلى جزيرة سيشل[104] بينما نجح مفتي القدس، الحاج أمين الحسيني، في الإفلات من الاعتقال واللجوء إلى لبنان، ليواصل من هناك توجيه أنشطة المقاومة. وقد أسفرت هذه الإجراءات عن إضعاف واضح للحركة الثورية؛ إذ تراجع أداؤها نتيجة الضربات الاستباقية التي نفذتها القوات البريطانية قبل صدور قرار التقسيم، فضلاً عن

[99] نفس المرجع، ص157 ؛ دروزة: مأساة فلسطين، مرجع سابق،ص43

[100] نفس المرجع، ص163

[101] نفس المرجع، ص 162

[102] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق، ص38 واخرين

[103] لورنس: ج4، مرجع سابق، ص111-112

[104] دروزة: مأساة فلسطين، مرجع سابق، ص37-38

انسحاب معظم المتطوعين العرب، خصوصاً من سوريا والعراق، مما أضعف القدرات القتالية للثوار نسبياً. ومع ذلك، تمكّن الثوار من تحقيق إنجازات ميدانية مهمة خلال ثلاث سنوات من المواجهة، وهو ما أربك الحسابات الاستعمارية وأثار قلق السلطات البريطانية[105].

ومع استمرار الثورة وتزامنها مع تصاعد التهديدات الدولية، ولا سيما صعود ألمانيا النازية، لجأت بريطانيا إلى خيار التفاوض. فعُقد مؤتمر لندن عام 1939 بمشاركة عربية، في حين جرى تغييب القيادة الوطنية الفلسطينية بشكل مقصود، والاكتفاء بتمثيل رمزي لها، وهو ما أضعف الموقف التفاوضي[106] وقد أسفرت المفاوضات عن صدور "الكتاب الأبيض" في 17 مايو 1939، الذي تضمّن وعوداً بتقييد الهجرة اليهودية ومنح الفلسطينيين حكماً ذاتياً محدوداً. غير أن التحليل الدقيق لهذه الوثيقة يكشف أنها كانت في جوهرها محاولة لامتصاص الغضب الشعبي العربي وحماية المصالح البريطانية في ظل التهديدات المتصاعدة من الرايخ الثالث الألماني[107] ومع اندلاع الحرب، سمحت بريطانيا بتشكيل "الفيلق اليهودي" تحت ذريعة المشاركة في الحرب ضد ألمانيا، لتعود لاحقاً إلى التنكر الكامل لوعودها السابقة، خصوصاً في عهد تشرشل ثم ترومان، حيث اتضح الانحياز الصريح للمشروع الصهيوني. وقد شكّل ذلك ضربة قاصمة للتطلعات العربية الفلسطينية وللتضحيات التي قُدمت في سبيل الاستقلال[108] استناداً إلى تحليل الأحداث المتسلسلة يمكن القول إن المرحلة الثانية من الثورة العربية الفلسطينية قد كشفت عن استراتيجية بريطانية مزدوجة تمثلت، من جهة، في القمع العسكري والسياسي المباشر للعرب الفلسطينيين، ومن جهة أخرى في تقديم دعم متصاعد للقدرات العسكرية اليهودية الناشئة. وفي هذا السياق، استندت الإدارة البريطانية إلى توظيف الموقف العربي كورقة ضغط على الثورة في اللحظات التي رأت فيها ضرورة احتوائها أو وقفها. وقد أسهم ضعف الموقف العربي وتخلّيه عن ضماناته، إلى جانب عجزه عن إلزام بريطانيا بتنفيذ وعودها، في إضعاف مسار الثورة وإفشالها.

ومع أن بريطانيا لم تتراجع عن مشروع التقسيم إلا تحت ضغط العمليات الثورية وخشيتها من اتساع نطاقها، فإن الدور العربي أسهم في حرف مسار الثورة عبر جرّها إلى مائدة المفاوضات في لندن، حيث جرى التفاوض مع الخصم المباشر، وتحت اسم "العرب الفلسطينيين" دون تمثيلاً حقيقي لهم سوى حضور شكلي لبعض القادة من اللجنة العربية العليا. وقد انتهى الأمر بقبول وعود بريطانية بلا ضمانات حقيقية، سرعان ما تنصّلت منها بريطانيا بعد زوال التهديد الألماني وقبح الخطر الثوري الشعبي العربي.

[105] لورنس: مسألة فلسطين ج4 ، مرجع سابق، ص178

[106] أمزيان: دور الأنظمة العربية مرجع سابق، ص185

[107] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ملحق وثيقة الكتاب الابيض، ص353

[108] جودت: العلاقات الصهيونية البريطانية، مرجع سابق، ص 68-69-70

د. الدوافع العربية وراء التدخل السلبي في ثورة العرب الفلسطينيين 1936-1939

تميز الموقف الرسمي العربي من الثورة الفلسطينية الكبرى بالتردد والتدخل السلبي، الذي يمكن تحليله في إطار الدوافع التالية:

1. الارتباط بمصالح بريطانيا والتبعية السياسية: جاء التدخل العربي لاحتواء الثورة في ذروة تصاعدها تزامناً مع تهديدها المباشر للمصالح البريطانية في المنطقة، خاصة في ظل التهديدات المتنامية المتمثلة في اقتراب الحرب العالمية الثانية، وقد ارتبطت الأنظمة العربية الناشئة في مصر والعراق والسعودية بعلاقات تبعية سياسية واقتصادية مع بريطانيا، مما جعلها تتصور أن استقرارها مرتبط باستمرار النفوذ البريطاني[109].

2. الخوف من انتقال عدوى الثورة: استندت رؤية العديد من الحكام العرب إلى التجربة التاريخية مع العثمانيين، حيث رأوا أن الثورات المسلحة قد تؤدي إلى إضعاف الأنظمة القائمة أو انهيارها. لذا سعوا إلى احتواء الثورة الفلسطينية خوفاً من انتقال تأثيرها الثوري إلى دولهم، مما يهدد استقرار أنظمتهم حديثة النشأة[110].

3. الطموحات الشخصية والمكاسب السياسية: سعى بعض الزعماء العرب إلى توظيف الأزمة لتعزيز نفوذهم الشخصي، من خلال التظاهر بالوصاية على قضية العرب الفلسطينيين والادعاء بتمثيل تطلعاتهم. لضمان حصة الجزء العربي من فلسطين وفقاً لمشاريع التقسيم المطروحة، بناء على وعود بريطانية مشروطة بقدرتهم على إقناع العرب الفلسطينيين بقبول الأمر الواقع كما كان الأمير عبد الله ملك شرق الأردن[111].

4. ضمان استمرارية الأنظمة التقليدية: اعتمد العديد من الحكام العرب على الدعم البريطاني لحماية أنظمتهم، ولم يرغبوا في زعزعة استقرارها عبر دعم ثورة قد تشكل خطراً على حكوماتهم الناشئة. لذا فضلوا الحفاظ على النظام القائم بدلاً من دعم حركات التحرر التي قد تهدد مصالحهم[112].

وبذلك تلاقت المصالح البريطانية الراغبة في تحييد الحسيني والقيادات الوطنية مع أطماع زعامات عربية خشيت من قيام قيادة عربية فلسطينية مستقلة وفاعلة.

رابعاً- تداعيات إخماد الثورة وتنامي الدور الأمريكي في دعم المشروع الصهيوني-الغربي

مثّل إجهاض ثورة 1936-1939 من خلال الوساطات العربية والمراوغات البريطانية نقطة تحول حاسمة في مسار القضية الفلسطينية. فقد لعبت هذه العوامل دوراً رئيسياً في عرقلة تحقيق أهداف الثورة، عبر أساليب متعددة شملت تقديم وعود غير ملزمة، والتحكم في قيادتها، وتحويل مسارها من الكفاح المسلح إلى مسارات تفاوضية عقيمة. وقد أدى ذلك إلى إهدار الوقت وإضعاف الإرادة السياسية للقيادة العربية الفلسطينية، مخلفاً حالة من التشتت وضياع الجهود والتضحيات[113].

---

[109] ينظر إلى نص الاتفاق في لندن ببين فرنسا وبريطانيا في تقاسم النفوذ على العرب، في، أنطونيوس: اليقظة العربية، مرجع سابق، ص679

[110] يُنظر إلى وثيقة مؤتمر القاهرة ومذكرات رسمية أخرى، المفاوضات العربية الإسرائيلية،ج1، مرجع سابق ،91-113-115-123

[111] القاسم: المؤرخون الفلسطينيون، ص204، واخرين

[112] ينظر إلى الملك عبدالله: مذكرات مرجع سابق، ص266

[113] يُنظر إلى شهادات الحاج امين عن ما بعد الثورة في مذكراته، مرجع سابق، ص45 ؛ الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص298-302

ويمكن تلخيص أهم التطورات والتداعيات التي انعكست على مستقبل استقلال وحُرية العرب الفلسطينيين، نتيجة إجهاض الثورة إلى الآتي:

أ- إقصاء العرب الفلسطينيين: تفريغ الساحة السياسية من قيادتها

أدى إخماد الثورة إلى إضعاف القيادة السياسية العربية الفلسطينية التي كانت محاصرة بين التدخلات العربية والقمع البريطاني، ما أفرغ الساحة من شخصيات بارزة قادت العمل الوطني، مثل الحاج أمين الحسيني وعبد القادر الحسيني وحسن سلامة وغيرهم، الذين جرى إبعادهم قسرًا أو إقصاؤهم من التأثير المباشر. وقد أسهم هذا الغياب في إضعاف المسار الساعي إلى الاستقلال الكامل، وفتح المجال واسعًا أمام تدخلات الساسة العرب، الذين سعوا إلى التأثير في القرار العربي الفلسطيني بما يخدم مصالحهم[114].

ولم يكن هذا التدخل معزولًا عن هشاشة البنية السياسية العربية الفلسطينية التي ورثت ضعفًا متجذرًا من الحقبة العثمانية وتعزز تحت الانتداب البريطاني، وذلك لاختلاف الرؤية المستقبلية للمنطقة.

أنتج هذا الواقع انقسامًا عربيًا بين تيارٍ يدعو للمواجهة وتيارٍ آخر يميل إلى التسوية، إذ تبنّى زعماء مثل الملك عبد الله ونوري السعيد فكرة التقسيم صراحةً[115] ومن هنا بدأت تتبلور ملامح اتجاه عربي يرى أن الحل يكمن في اللجوء إلى المحافل الدولية والمفاوضات مع الحركة الصهيونية، بما شكّل بداية التفكير في خيار "السلام الجزئي" بدل المقاومة المسلحة[116] ومن هذا المنظور، يمكن فهم كيف تلاقت مصالح البريطانيين الذين أرادوا رأس الحسيني، مع زعامات عربية ترى في "وجود قيادة عربية فلسطينية قوية تقوم بدور التمثيل الرسمي " خطراً استراتيجياً، قد ينعكس آثره على المنطقة العربية ككل وهي انما تقبع تحت السيطرة البريطانية. فالقيادة العربية الفلسطينية إن نجحت في الثورة ستمنع تحويل استقلال فلسطين إلى ملف في يد الملوك[117].

ومن جانب اخر فقد ساهم إجهاض الثورة وإفشالها في المرة الأخيرة إلى ان يبرز في هذا الفراغ الضعيف في الساحة، اليهود الذين كسبوا الوقت والفرص وتمكنوا من انشاء عصابات عسكرية قوية أشبه ما تكون بالألوية العسكرية[118] إن إجهاض الثورة الفلسطينية الكبرى لم يكن حدثًا عابرًا، بل محطة فاصلة أسهمت في إعادة تشكيل المشهد السياسي الفلسطيني والعربي على حد سواء. فقد أفضى التدخل العربي، بتنسيق أو تغاضٍ بريطاني، إلى تغييب القيادة الوطنية الفلسطينية، وإتاحة الفرصة لليهود لتقوية بنيتهم العسكرية والسياسية[119].

وقد فُسِّر إخفاق الثورة العربية الفلسطينية غربيًا على أنه فشل فلسطيني داخلي، وهو ما منح الثقة للدول الغربية الصاعدة ـ وعلى رأسها الولايات المتحدة ـ في دعم المشروع الصهيوني باعتباره أكثر واقعية وقابلية للنجاح، مقارنةً بالضعف العربي.

---

[114] الكيالي: تاريخ فلسطين، مرجع سابق، ص303-304- 313-314

[115] ذكر انه قدم مشروعاً لتجزئة المتبقي من فلسطين بعد التقسيم يُنظر إلى القاسم: المؤرخون الفلسطينيون، مرجع سابق، ص204

[116] محمد عقل: دور الجيش العراقي في حرب فلسطين(1948-1949) ج1 e-kutub ltd (شركة بريطانية)، لندن، 2023، ص34

[117] هيكل: المفاوضات العربية، مرجع سابق، ص344-346

[118] جودت: العلاقات الصهيونية البريطانية، مرجع سابق، ص180-181

[119] أمزيان: دور الانظمة العربية، مرجع سابق، ص 185

ومما يجدر الإشارة إليه انه ومن خلال تحليل الموقف العربي العام ومضمون مذكرات ورسائل الفاعلين العرب انه لم يكن الموقف الذي لعبة الدور العربي بمعزل عن الإرادة الجمعية للأمة العربية، التي عجزت عن اتخاذ أي خطوة تدفع زعمائها إلى العدول عن دورهم السلبي. وربما يُعزى هذا العجز إلى القبضة المحكمة التي فرضها الحكّام على شعوبهم، بدعمٍ من الاستعمار البريطاني في المنطقة. وإذا صحّ اعتبار هذا مبررًا للموقف الشعبي المغلوب على أمره والمستهدف بالمؤامرات، فإنه يذكّرنا بما تعرّضت له فلسطين من تآمر على مدى عقود سابقة[120].

ب- تطور الدور الأمريكي وزيادة مستوى الدعم الغربي لليهود

بعد فترة قصيرة من إخماد الثورة، قام اليهود الصهاينة في أوروبا بإرسال شحنات أسلحةٍ إلى اليهود المغتصبين في فلسطين تحت رعايةٍ بريطانية. وفي 18 مايو 1939م أوضحت لندن أنه غير وارد قرار خفض الهجرة اليهودية، بل وأعلنت عن حصة جديدة قوامها 4500 تأشيرة دخول[121] وفي 1937/8/3م، انعقد المؤتمر الصهيوني العشرون بمدينة زيوريخ، وأكد مسألة اليهود بفلسطين وحقهم الذي لا يتزعزع، وأخذ في النتائج التي آل إليها، أن الهدف الرئيسي من الانتداب هو تيسير إنشاء الوطن القومي اليهودي[122].

ومع دخول الحرب العالمية الثانية، برزت الولايات المتحدة كقوةٍ عالميةٍ صاعدةٍ، وتحولت إلى راعٍ مباشرٍ للوجود اليهودي في فلسطين. وقد ازدادَ هذا التوجه وضوحاً بعد نهاية الحرب الثانية، حيث تبنت الإدارات الأمريكية المتعاقبة السياسات البريطانيةَ نفسها، لكن بثوبٍ أكثرَ "صرامة" وتغليفاً دبلوماسيا[123].

وفي عام 1947م، كان للولايات المتحدة الدور الحاسم في تمرير قرار تقسيم فلسطينَ في الجمعية العامة للأمم المتحدة، من خلال ممارسة الضغوط السياسية والاقتصادية على العديد من الدول الأعضاء للتصويت لصالح المشروع الصهيوني، ثم كان اعترافها السريع بدولة "إسرائيلَ" بعدَ إعلان قيامها في 14 مايو 1948م، إيذاناً بتحول الدعم الأمريكي من المستوى السياسي إلى الدعم الكامل في المجالات العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية[124].

لقد لعب الرئيس الأميركي هاري ترومان دوراً مفصلياً في هذا السياق، إذ كان شديد النزعة الصهيونية ولم يتردد في دعم قرار تقسيم فلسطين 1947، ثم في الاعتراف الرسمي بقيام "إسرائيل" بعدَ ساعات فقط من إعلانها[125].

---

[120] الحاج امين: مذكرات مرجع سابق، ص26؛أمزيان: مرجع سابق، ص 191

[121] مخرجات المؤتمر العشرون الصهيوني: مؤسسة الدراسات الفلسطينية www.palestine-studies.org

[122] رغم الوضع غير المستقر لليهود في فلسطين والاقتصاد المضطرب، فقد توافد العديد من المهاجرين الجدد ما بين 1936م – 1939م، وقد بلغ عددهم 69536 مهاجرا، وفي المقابل، طرد 1001 مهاجرٍ عربي. يُنظر إلى اسلام جودت: مرجع سابق، ص 59 واخرون.

[123] جنسين: مؤامرة فلسطين، دار القومية للطباعة والنشر، ج٢ ،القاهرة، 1959، ص 7 ص 45

[124] علي مصلح هائل: نشأة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة الجامعة الوطنية، اليمن، 2018، ص277؛ جودت: العلاقة الصهيونية البريطانية، مرجع سابق، ص 119؛

[125] ينظر البيان الصحفي الصادر عن البيت الأبيض هيكل: المفاوضات العربية الإسرائيلية ،مرجع سابق، ص230

ومن الطبيعي ان يتطور الدور الأمريكي الداعم لليهود في فلسطين بعد إفشال ثورة العرب الفلسطينيين، بعد ان أدرك الساسة الامريكان ان اليهود يمكن ان يحققوا طموحاتهم الامبريالية في غرب آسيا وخاصة المنطقة العربية، مما مثل بدايةَ شراكة إستراتيجية طويلة. الأمد، تقوم على التقاء المصالح الجيوسياسية والاقتصادية والعقائدية بين المشروع الصهيوني والدولة الإمبريالية الامريكية الصاعدة.

المطلب الثاني: من قرار التقسيم إلى النكبة: بين المواقف العربية والغربية

اولاً: فلسطين بين أمل الاستقلال وقرار التقسيم

بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، كان الموقف العربي واضحًا، إذ قطع العرب علاقاتهم مع ألمانيا وانضموا سياسيًا وشبه عسكريًا إلى صف الحلفاء، نتيجة خضوعهم للسيطرة البريطانية والفرنسية. غير أن الموقف العربي الفلسطيني اتخذ مسارًا مختلفًا؛ ففي 28 نيسان/أبريل 1942، التقى الزعيم الألماني أدولف هتلر بالحاج أمين الحسيني، الزعيم الفلسطيني، بعد أن تمكن الأخير من مغادرة لبنان منفيًا هربًا من محاولات القبض عليه[126] ومع احتدام المواجهات في الحرب، أصبح من الصعب على الممثلين السياسيين الفلسطينيين التواجد بحرية في المنطقة العربية، وقد خلقت الضغوط الغربية، ولا سيما البريطانية، أزمة في العلاقات بين الدول العربية والعرب الفلسطينيين، رغم استمرار التعاطف الظاهري[127].

إذ أعلنت ألمانيا وإيطاليا، في بيانها الختامي عام 28 أبريل / 1942، اعترافها باستقلال الوطن العربي الخاضع للهيمنة والاستعمار البريطاني، وموافقتهما على وحدة العرب والتخلص مما يُسمى "الوطن القومي اليهودي" في فلسطين. محاولة كسب العرب أو على الأقل ضمان حيادهم في الحرب دون جدوى[128] وعلى الرغم من أن القيادة الألمانية كانت تسعى إلى القضاء على اليهود بشكل كامل، باعتبارهم من كانوا وراء هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى، بخلاف مقاصد الحاج أمين الحسيني المتمثلة في إخراجهم من فلسطين فقط. فيبدو أن السياسات الألمانية ظلت واضحة وصريحة في دعم العرب الفلسطينيين، على عكس بريطانيا التي استخدمت وعودها البراغماتية للتلاعب بالعرب؛ إذ انه كان ضمن خطط الجيش الألماني بقيادة رومل، الذي زحف عبر ليبيا حتى وصل إلى مشارف الإسكندرية قبل أن يتوقف بعد هزيمته، كان هدفه التوجه نحو قناة السويس وفلسطين وإضعاف الحلفاء في المنطقة، والإطاحة بـ البريطانيين، كما ان اغلبية اليهود المتواجدين حينها في مصر، ما ان سمعوا زحف الجيش الألماني حتى هرعوا في بيع أراضيهم وهربوا الى السودان، وجنوب افريقيا قبل أن تحصرهم الفيالق الألمانية الزاحفة[129] كما كان من المقرر أن يقوم الملك فاروق بالخروج من القاهرة لتهيئة الساحة أمام الجيش الألماني في حال دخوله العاصمة، وقد جرت، بحسب مذكرات الحاج أمين، مراسلات سرية بين القيادة الألمانية والملك المصري، كان الحاج أمين وسيطًا فيها[130].

[126] لورنس: مسألة فلسطين،ج4، ص300

[127] ينظر إلى الحاج امين: مذكرات مرجع سابق، ص108

[128] نفس المرجع: ص305

[129] هيكل: مفاوضات العرب السرية،ج1، مرجع سابق، ص157

[130] الحاج امين: مذكرات، مرجع سابق،ص173

غير أن العرب الفلسطينيين لم يتمكنوا من التغلب على القوى الاستعمارية، بمحاولة تعزيز العلاقة مع دول المحور وفق مبدأ العدو الواحد والمصالح المشتركة، بهدف تحقيق ما عجز العرب عن إنجازه، والمتمثل في استعادة واستقلال فلسطين.

أ- دور الجامعة العربية بين الخطاب الرسمي والعجز العملي

مع هزيمة دول المحور، تحولت التطلعات نحو الجامعة العربية عقب تأسيسها، على أمل أن يكون لها دور حاسم في استقلال فلسطين. وبالفعل، بدأت الجامعة العربية عبر مجلسها، الذي اجتمع على مستوى الملوك والرؤساء، كرد فعل على تقرير اللجنة الأنجلو-أمريكية التي أوصت بترحيل مائة الف يهودي من أوروبا، ودعت إلى التضامن معهم، بمزاعم ما تعرضوا له حينها[131].

وردًا على ذلك، وضعت الجامعة العربية مجموعة من المطالب، أبرزها: إيقاف الهجرة اليهودية، ووقف التوسع في الاستيلاء على الأراضي الفلسطينية، والعمل على تحقيق استقلال فلسطين. وبالرغم من التصريح القوي الذي بدا في الموقف العربي المتمثل في قرارات الجامعة العربية، التي أظهرت ثباتًا في مواقفها المعلنة ومطالبها المشروعة المعبرة عن إرادة الشعوب العربية ودعمها للعرب الفلسطينيين، فإن هذه المواقف والبيانات لم تُسفر عن أي إنجاز ملموس، ولم تُحدث ضغطًا على بريطانيا يحد من خطواتها الرامية إلى تقسيم فلسطين[132].

مروراً بفشل مؤتمر لندن الذي لم يتمكن من التوصل إلى حلول مرضية، اكتفت الجامعة العربية بتوجيه دعوة غير مباشرة إلى الأمم المتحدة، وذلك من خلال مخاطبتها للحكومة البريطانية، التي بدورها طلبت عقد جلسة استثنائية[133] أسفرت هذه الجلسة عن إحالة القضية إلى لجنة تحقيق، يُفترض أن تنزل إلى فلسطين للوقوف على الملابسات، ومن ثم رفع تقريرها إلى الأمم المتحدة. ويبدو من اتخاذ هذا الاجراء أن الأمم المتحدة كانت تسعى إلى إيجاد حل ممنهج عبر خطوات وإجراءات عملية، بدل الاكتفاء بإصدار قرار مسبق دون دراسة أو تحقيق[134] بيد أن الواقع يشير إلى خلاف ذلك، حيث أن التقسيم كان قائمًا أساسًا على مخطط محدث. فقد أعادت الأمم المتحدة إلى الواجهة مشروع التقسيم البريطاني الذي أصدرته لجنة بيل في تقريرها خلال الثلاثينيات. كما تناولت بعض الصحف الغربية مسألة التقسيم باعتبارها الحل الوحيد والضرورة الملحة، وذلك قبل أن تبدأ لجنة التحقيق المكلفة من الأمم المتحدة عملها بالنزول إلى المنطقة العربية وإصدار تقريرها.

تشير الأدلة إلى ان القوى الغربية الكبرى كانت قد اتخذت القرار مبدئياً ومسبقًا في واشنطن ولندن، مما جعل عمل اللجنة مجرد إجراء شكلي لتبرير الموقف الغربي أمام الرأي العام. ومن جانب أخر فإن الموقف العربي من اللجنة كان خلاف موقف العرب

---

[131] القاسم: المؤرخون الفلسطينيون، مرجع سابق، ص280

[132] احمد عبد المنعم: جامعة الدول العربية 1945-1985 دراسة تاريخية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986، ص45 ؛ وينظر إلى دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها،ج2، مرجع سابق، ص36-37-38

[133] جودت: العلاقة الصهيونية البريطانية، مرجع سابق، ص116

[134] لورنس: مسألة فلسطين،ج4، مرجع سابق، ص424

الفلسطينيين، والجدير ذكره أن العرب لم يعترضوا على عمل اللجنة، بل تعاونوا معها بحجة أنهم أعضاء في الأمم المتحدة، وبالتالي يتوجب عليهم الالتزام بالتعاون مع لجنة التحقيق[135].

ورغم المطالب التي قدمتها الهيئة العربية العليا، التي عادت لممارسة نشاطها في هذه الفترة لتمثيل العرب الفلسطينيين ورفضها القاطع لعمل اللجنة ومشروعيتها، وطلبها من الدول العربية مقاطعة اللجنة وعدم التعاون معها، إلا انهُ قد ظل الموقف العربي سلبيًا ولم يلبي تطلعات الهيئة العربية العليا، ومن جانبها، دعت الهيئة الفلسطينيين إلى الإضراب عند وصول اللجنة، محذرة من تحيز الأمم المتحدة لصالح اليهود، ومن اللافت أن قرار تشكيل اللجنة كان مجرد تنفيذ لطلب الحكومة البريطانية، وقد تم العمل بموجبه، فيما أُسقطت جميع الدعوات والمطالب العربية، ولم تحظَ بموافقة الجمعية العامة للأمم المتحدة[136]. وفي ضوء هذه المواقف الواضحة، التي تصدرها الغرب والأمم المتحدة في التآمر على الشعب العربي في فلسطين، مقابل المواقف العربية الشكلية التي لم تقدم أي جديد يُعد إنجازًا في مسار المفاوضات، مما يتبين أن هذه الإجراءات كانت تقود إلى عمل ممنهج في تقسيم فلسطين العربية، ومجرد وسيلة في استمرارية إضاعة الوقت والجهود التي بذلها العرب الفلسطينيين في سبيل الحصول على استقلالهم، ولا أكثر من ذلك[137].

رغم هذا كله لم تتوقف المساعي التي بذلتها الجنة العليا في إطار النفق العربي ومحاولة الحصول على الدعم الحقيقي والمواقف العملية الجادة. فاستناداً إلى البرقيات والوفود التي اجرتها الهيئة لطلب دعم الدول العربية، محاولة التأكيد للسياسيين العرب على إدراك خطورة وجود اليهود والصهاينة على البلاد العربية بأسرها.

والحال ان ذلك يعود إلى رغبتها في تحريك الجهود العربية بشكل أكبر، في الوقت الذي لم تكن الاستجابة كما كان مأمولًا، وخاصة بعد إنشاء الجامعة العربية وخروج بعض القوات البريطانية من مصر والعراق، والتي كان من المتوقع أن تتخذ موقفًا أقوى وأكثر فاعلية.[138] وصولاً إلى أن انتهت اللجنة ورفعت تقريرها، يلي ذلك صدور قرار التقسيم الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم المتحدة، الذي لعبت الدبلوماسية البريطانية دوراً خطيراً في الدفع بالأمم المتحدة لاتخاذه، أم الولايات المتحدة الأمريكية فقد لعبت أكثر الأدوار خطورة في تعديله ليضم أكبر مساحة لليهود[139] حينها اجتمع مجلس الجامعة العربية في 8 ديسمبر 1947، معبّرًا عن غضبه ورفضه القاطع للقرار من أساسه. وأكد المجلس أن الدول العربية، في تنفيذ إرادة شعوبها، ستتخذ جميع التدابير الحاسمة اللازمة لإحباط أي محاولة لتنفيذ مشروع التقسيم[140] غير ان رفض الجامعة العربية لم يغير شي في مسار القضية لكونه يُعد مجرد تصريحات لا تترتب عليها قرارات عملية تنفيذية فعالة.

---

[135] الحاج امين: مذكرات مرجع سابق،308

[136] نفس المرجع، ص309-311

[137] دروزة: القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها، مرجع سابق، ص41-42

[138] نفس المرجع: ص112-113

[139] جودت: العلاقات الصهيونية البريطانية، مرجع سابق، ص119

[140] عبد المنعم: جامعة الدول العربية 1945-1986، مرجع سابق،ص47

ومن جانبٍ اخر رفضت الهيئة العربية العليا القرار ودعت إلى إضرابٍ عام رافق ذلك مظاهرات في جميع فلسطين والمنطقة العربية[141] وخلال هذه المرحلة، تقدّمت اللجنة العربية العليا بطلبٍ إلى الجامعة العربية يقضي بتشكيل حكومة عربية فلسطينية مؤقتة، غير أنّ هذا المقترح قوبل بالرفض من جانب الجامعة. ويُعزى هذا الموقف إلى رغبة بعض الساسة والزعامات العربية في الحيلولة دون تحقيق استقلالٍ سياسي لفلسطين في تلك الفترة[142].

ثانياً: انتهاء الانتداب البريطاني والسياقات المحيطة بإعلان قيام إسرائيل

أ- الانسحاب البريطاني والموقف العربي من نزوح العرب الفلسطينيين

شكّلت الفترة التي سبقت انسحاب بريطانيا الرسمي من فلسطين قبل 14 مايو/أيار 1948 مرحلة حاسمة، تميّزت بتحضيرات ممنهجة من قبل القيادة اليهودية، بينما اتسم الموقف العربي الرسمي بالتردد والضعف، مما أسفر عن نتائج كارثية على الشعب الفلسطيني.

فقبيل انتهاء الانتداب البريطاني، عملت المؤسسات اليهودية المتمثلة في الوكالة اليهودية والمنظمة الصهيونية العالمية على وضع خطة استراتيجية شاملة لإعلان قيام دولة إسرائيل، وقد تضمنت هذه الخطة بناء قدرات عسكرية هائلة، حيث تمكّن اليهود من تجنيد أكثر من ستين ألف مقاتل وتأسيس ثلاثة مصانع للأسلحة 1948[143] وبشكل استباقي، كثّفت العصابات الصهيونية من هجماتها ضد المدنيين الفلسطينيين قبل أشهر من موعد الإعلان، بهدف واضح هو تهجير السكان الأصليين وبث الذعر في صفوفهم. ويشير التحليل إلى أن سياسة الانسحاب البريطاني لم تكن محايدة، بل كانت مُدارة بطريقة مقصودة. فانسحاب القوات من المواقع الحساسة التي كانت تفصل بين التجمعات العربية واليهودية—كما حدث في حيفا في 12 أبريل/نيسان 1948—تم وفق خطة مدبرة، مما أدى إلى فراغ أمني استغِلّ فوراً[144] وكانت النتيجة المباشرة نزوح أكثر من 70 ألف مواطن من حيفا إلى لبنان. وتكرر المشهد ذاته في يافا في 24 أبريل/نيسان، حيث نزح منها قرابة 60 ألف عربي بعد إخلاء القوات البريطانية لمواقعها[145].

على النقيض من الاستعداد اليهودي، كان الموقف العربي يتسم بالضعف والتناقض الصارخ. فمع بدء عمليات النزوح الجماعي، كانت الجيوش النظامية العربية لا تزال خارج حدود فلسطين، باستثناء بعض الوحدات الأردنية المحدودة المرابطة في مواقع معينة. والأهم من ذلك، أن هذه القوات—وعلى رأسها الجيش العربي الأردني—كانت خاضعة لقيادة بريطانية بشكل كامل (تحت إمرة الجنرال غلوب باشا)، ومُنعت

[141] القاسم: المؤرخون الفلسطينيون، مرجع سابق، ص213

[142] لورنس: مسألة فلسطين ج4، مرجع سابق، ص465

[143] القاسم: المؤرخون الفلسطينيون، مرجع سابق، ص279

[144] دافيد بن غوريون: يوميات الحرب 1947-1949، ترجمة ونشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،1993 ص 247 (زعيم اليهود ومؤسس الكيان الاسرائيلي).

[145] لمزيد من الاطلاع ينظر إلى وليد الخالدي: كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،1997،ص70. واخرون

صراحة من الاشتباك مع القوات اليهودية أو حتى حماية المدنيين الفلسطينيين[146].

وتكشف الوثائق والمراسلات—كما دوّنها القائد العسكري عبد الله التل—أن القيادة السياسية والعسكرية الأردنية كانت مقيدة بأوامر بريطانية مباشرة. ففي برقية مؤرخة في 1 مايو/أيار 1948، أبلغ التل الملك عبد الله بأن القائد البريطاني منعه من حماية القنصلية العراقية أو تقديم النجدة لقواته، وطلب التدخل. إلا أن الرد الصادر من عمان كان التأكيد على "ضرورة تنفيذ أوامر القائد الإنجليزي"[147]

وقد سجل القائد العسكري عبد الله التل في مذكراته رسائل وبرقيات تبادلها مع الملك وقيادة الجيش العربي الأردني "يقول في احداها: **أبرقنا إلى جلالة الملك عبد الله بتاريخ 1 / 5 / 1948م، نبلغه أن قائد المنطقة الإنكليزية منعني من حماية القنصلية العراقية، ومن تقديم النجدة والمساعدة لجنودنا هناك.. ويضيف قائلاً لما وصلت برقيتي، جرى اتصال بين الملك والمندوب السامي الإنجليزي في القدس، ولم أعلم ما دار بينهما، لكن الأمر صدر من عمان بضرورة تنفيذ أوامر القائد الإنكليزي، باعتبار أن جميع وحدات الجيش العربي في فلسطين كانت هناك بأمرٍ من البريطانيين وتحت إشرافهم الكامل**[148] بل إن الأوامر الصادرة للجيش العربي كانت صريحة: "لا يجوز الاشتباك مع اليهود، ولا التعرض لهم، ولا الاشتراك في أي اشتباك بين العرب واليهود"[149] وفي حادثة عفوية، وقع اشتباك بين وحدة من الجيش الأردني والقوات اليهودية، فسارع الأمير طلال بن عبد الله إلى الحضور شخصيًا لفضّ الاشتباك[150].

أدى هذا الموقف السلبي والمقيد إلى منح العصابات الصهيونية فرصة ثمينة للاستيلاء على مناطق حيوية تتجاوز كثيراً حدود قرار التقسيم رقم 181، خاصة في القدس. وقد حوّل هذا الضعف العربي، مقترناً بالاستعداد اليهودي والانسحاب البريطاني المُتعمّد، النزاع إلى مأساة إنسانية كبرى، تمثّلت في تشريد مئات الآلاف من الفلسطينيين وتحويلهم إلى لاجئين دون حماية أو سند فعلي[151].

ب- التعامل العربي مع التنظيمات الفلسطينية: بين المراوغة والمواقف

اتسم الموقف العربي إزاء المجاهدين الفلسطينية بالتردد وغياب الجدية، بل وبالتحايل أحياناً، مما حال دون بناء قدرات عسكرية فلسطينية فاعلة قادرة على تحقيق توازن استراتيجي مع القوات الصهيونية المُتنامية. وقد تجلّى هذا الموقف من خلال التعامل مع تنظيم "الجهاد المقدس"، الذي كان يمثل العمود الفقري للمقاومة المسلحة الفلسطينية.

فقد برز تنظيم "الجهاد المقدس"، تحت قيادة عبد القادر الحسيني، كأبرز التشكيلات المقاومة وأكثرها فاعلية وكفاءة قتالية، حتى بحسب الاعترافات الصهيونية إلا أن هذا التنظيم عانى من نقص حاد في العتاد والذخائر، مما حدّ من قدرته على الصمود

(146) عبدالله التل قائد معركة القدس: كارثة فلسطين، دار الهدى، القاهرة،1959، ص 51

(147) عبد الله بن الحسين: مذكراتي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ص231 ؛ بن غوريون: يوميات، مرجع سابق، ص78

(148) التل: كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص23-24

(149) التل: كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص21

150 نفس المرجع، ص22

(151) يُنظر الى وثائق التي أوردها عبدالله التل في مذكراته، وشهادته، في كارثة فلسطين، ص20-21 -25

أمام الهجمات المنظمة للعصابات المسلحة اليهودية، وفي لحظة حرجة بعد سقوط قرية القسطل، قضى الحسيني اثني عشر يوماً في دمشق والقاهرة في محاولة لإقناع اللجنة العربية العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية بضرورة إدخال السلاح بشكل عاجل لدعم المقاتلين في الميدان. وقد باءت مساعيه بالفشل، ليعود محمّلاً بتهمة الإخفاق للقيادات العربية، مُطلقاً صيحته الشهيرة: "أنتم مجرمون سيسجل التاريخ أنكم أضعتم فلسطين[152] وعلى الرغم من استشهاده أثناء استعادته للقسطل في عملية بطولية، فإن سقوطها مرة أخرى بعد ذلك يؤكد أن البطولة الفردية لم تكن كافية لتعويض الغياب الاستراتيجي والدعم المنظم من الدول العربية، وفي سياقٍ موازٍ من أحداث فلسطين، وتحديدًا في منطقة غزة ومحيطها، نشطت مجموعات من المجاهدين في مواجهة القوات الصهيونية. ويورد القائد محمد طارق الأفريقي في شهاداته أنّه عقب قيام الأهالي بجمع تبرعات مالية وتكليف وفد بالتوجّه إلى القاهرة لشراء الأسلحة من التجار، تعذّر إدخال تلك الأسلحة إلى فلسطين نتيجة التعليمات الصادرة عن الإدارة الملكية المصرية، وهو ما شكّل عائقًا أمام وصول الإمدادات العسكرية اللازمة للمجاهدين[153].

وإشارة لما سبق لم يكن تقاعس اللجنة العسكرية عن دعم "الجهاد المقدس" ناجماً عن عجز لوجستي ، بل عن خلافات سياسية عميقة وتضارب في الرؤى بين القيادة العربية الفلسطينية المتمثلة في الحاج أمين الحسيني والهيئة العربية العليا، من جهة، وبين بعض الأنظمة العربية من جهة أخرى، فقد تبنى الثوار الفلسطينيون رؤية تقوم على الاستقلال الكامل والتحرير الشامل، بينما مال بعض الزعماء العرب إلى تبني حلول تقوم على الضم أو تقبل بحل التقسيم. ولتعزيز هذا التوجه، عملت الجامعة العربية على تحييد تنظيم "الجهاد المقدس" — الذي كان يضم ما بين 5,000 إلى 7,000 مقاتل — عبر إنشاء بديل عنه يتمثل في "جيش الإنقاذ"، الذي كان خاضعاً للقيادة العربية الرسمية وممولاً من قبلها، مما عمّق الانقسام في الصف الفلسطيني وأضعف التنسيق العسكري في الميدان [154].

وقد بلغت سياسية التهميش والإقصاء ذروتها مع دخول الجيوش العربية النظامية إلى فلسطين في مايو 1948. فبصفته القائد العام لتلك الجيوش، أعلن الملك عبد الله الأول حل تنظيم "الجهاد المقدس" وسحب أسلحته، مُلغياً بذلك دور المقاومة المحلية التي كانت على دراية عميقة بجغرافية البلاد وطبيعة المواجهة[155] وقد مثّل هذا القرار ضربة قاصمة للمقاومة الشعبية، حيث سُحبت الأسلحة من المقاتلين الذين كانوا يشكلون خط الدفاع الأول عن القرى والبلدات، تحت ذريعة الاستغناء عنهم لصالح الجيوش النظامية، إلا أن هذه الجيوش نفسها كانت تفتقر إلى التنسيق والإرادة السياسية الموحدة للتصدي بشكل فاعل للقوات الصهيونية، وكانت النتيجة المأساوية

[152] محسن صالح: مذكرات في القضية الفلسطينية، الزيتون لدراسات والاستشارات، بيروت، 2021، ص152؛ القاسم: مرجع سابق،ص246

[153] محمد الافريقي: مذكرات المجاهدين في معارك فلسطين 1948، اليقظة العربية، دمشق، 1951، ص86

[154] عصام غريب: الحاج محمد أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897-1974)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، 2014، ص 356-357-360

[155] الحسيني: أسباب كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص34

تسهيل عملية الاستيلاء المنظم على القرى العربية واحدة تلو الأخرى، وتعزيز موجة النزوح الجماعي التي طالت حتى المدن ذات الأغلبية العربية الساحقة.

ثالثاً: دخول الجيوش العربية وتداعيات التدخل العسكري العربي

شكّل القرار بالتدخل العسكري المباشر في فلسطين محصلةً لتطورات متأخرة ولم يتم البت فيه بشكل قاطع إلا في العاشر من مايو/أيار 1948، بعد سلسلة من المداولات المطولة بين القيادات السياسية والعسكرية العربية ضمن أروقة جامعة الدول العربية.[156] ويُفسّر هذا التردد التناقضَ الجلي بين الخطاب العربي الرسمي المناصر للقضية الفلسطينية، وبين الممارسة الفعلية على الأرض، والتي بدت في كثير من جوانبها وكأنها استجابة لضغوط الرأي العام العربي أكثر منها استراتيجية مُحكمة لمواجهة المشروع الصهيوني. لم يُترجم الموقف الدبلوماسي العربي، الذي استنفدَ سنوات في المفاوضات والمباحثات العقيمة، إلى أي مكاسب ملموسة للعرب، بل على العكس، أمّنَ للحركة الصهيونية هامشاً زمنياً حاسماً مكّنها من تعزيز بنيتها العسكرية والإدارية استعداداً لإعلان قيام الدولة. وقد مثّل التدخل العسكري في نهاية المطاف اعترافاً ضمنياً بإخفاق تلك الدبلوماسية، وتحولاً نحو خيار عسكري لم يُحضّر له بشكل كافٍ[157] وفي الساعة الثانية عشرة من ليلة 15 مايو/أيار 1948، عبرت الجيوش النظامية العربية حدود فلسطين في عملية توصف بأنها تمت "بشكل غير منظم".[158] وعلى الرغم من دخول القوات "بروح قوية وعزيمة صلبة ومعنويات عالية"—كما تُروى في بعض المصادر—إلا أن هذه الحماسة لم تكن مدعومة بخطة استراتيجية موحدة، أو بتقدير دقيق للميزان العسكري المتغير لصالح القوات الصهيونية، التي كانت قد بلغت قوامها في الأسبوع الأول من القتال نحو مائة ألف مقاتل مدرب ومسلح بأحدث الأسلحة[159].

أ- التقسيم العسكري للجبهات وأداء الفرق العربية في حرب 1948

سنستعرض اهم المحطات في حرب 1948 وفق تقسيم الجبهات كالتالي:

1- المنطقة الوسطى: تم تقسيم مسارح العمليات في حرب 1948 بشكل أساسي بين الجيوش العربية النظامية، حيث تولى الجيش العربي الأردني والجيش العراقي مسؤولية المنطقة الوسطى، التي امتدت من حدود الجبهة السورية عند طبريا وسمخ شمالاً، وصولاً إلى منطقة الخليل جنوباً[160] * وقد كشف أداء هذه القوات عن فجوة كبيرة بين الإمكانات العسكرية الفعلية والقيود السياسية المفروضة عليها.

تحرك الفيلق الأردني، الذي كان تحت القيادة الفعلية للجنرال البريطاني جون غلوب (غلوب باشا)، وفق تعليمات صارمة منعته من تجاوز حدود قرار التقسيم الدولي لفلسطين (قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 181).

---

(156) التل: كارثة فلسطين، مرجع سابق،ص76

(157) نفس المرجع، ص75

(158) محمد الافريقي: مذكرات المجاهدين في معارك فلسطين، مرجع سابق، ص88-89

(159) بن غوريون: يوميات الحرب 1947-1949، مرجع سابق، ص 548

(160) الافريقي: مذكرات معارك المجاهدين، مرجع سابق، ص93

*راجع اسماء قادة الجيش العربي الاردني من مذكرات عبدالله التل أو الارشيف الاردني الذين دخلوا على رأس الجيش، وأثق أن ذكر أسمائهم سيعطي انطباعاً وفهماً سريعا عن الجيش الذي سمي (بالجيش العربي).

وقد أثار هذا التقييد استياء الضباط العرب الذين كانوا يتوقون لمواجهة القوات اليهودية الصهيونية، بينما كانت قوات "الجهاد المقدس" ومن تبقى من المتطوعون الفلسطينيون يخوضون معارك دفاعية شرسة ضد عصابات مثل "الأرغون" في نفس الجبهة في القدس، وكما يروي القائد التل بصفته حاكم القدس وقائد معركتها في شهادته ان القوات حققت بعض الإنجازات في القدس. أما القوات العراقية فقد أظهرت بعض الوحدات أداءً قتالياً لافتاً ويشير تقرير الأركان العراقي المؤرخ في 6/8 ان القوات العراقية توغلت في منطقة القدس وباب الواد،[161] وفي جانب اخر فقد شن الفيلق المرابط في جنين بقيادة المقدم عمر علي تجاه مدينة حيفا، وأوقع الذعر في صفوف القوات الصهيونية ودفع رئيس بلدية حيفا (تحت السيطرة الصهيونية) إلى طلب التفاوض على الاستسلام. إلا أن هذه المبادرة تم إجهاضها بقرار من غلوب باشا، الذي أمر بسحب القوات العراقية وعاقب قائدها، مما حال دون استغلال هذا النجاح التكتيكي. وقد حافظت القوات العراقية لاحقاً على مواقع دفاعية ثابتة في منطقة "المثلث" دون محاولة قطع الطريق الاستراتيجي بين تل أبيب وحيفا، على الرغم من قربها منه، وتشير بعض التحليلات إلى أن زيادة عدد القوات العراقية لاحقاً كان يهدف إلى تهدئة الرأي العام العربي في بغداد أكثر من كونه تعزيزاً استراتيجياً للمجهود الحربي [162].

وبعد حوالي أسبوعين من القتال، سارعت بريطانيا وأمريكا لإنقاذ الكيان الصهيوني. ففي 25 مايو 1948، اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في عمان، حيث قبل العرب – تحت الضغط الأردني – بهدنةٍ غير مشروطةٍ، وكانت نتائجها كارثية:

– فك الحصار عن القدس، إنقاذ مائة آلف يهودي من القدس

–منح الصهاينة الوقت اللازم لتجهيز أنفسهم، ووصل الدعم الأمريكي[163].

وفي مذكرة مؤرخة في 6/9، لرئيس الأركان العراقي، أشار فيها إلى وجود ضعف فتور في فعالية الجيوش العربية، مما يدلل على محاولة القيادات العسكرية من القيادات السياسية العربية اصالح الخلل اثناء الهدنه الأولى،[164] إلا ان السيناريو تكرر نفسه مع الهدنة الثانية (19 يوليو/تموز – 17 أغسطس/آب 1948)، والتي خلالها:

– انسحبت القوات الأردنية من مواقع حيوية حول مدن اللد والرملة.

– تراجعت القوات العراقية عن مواقعها الاستراتيجية.

–أصبح الجيش المصري معزولاً في النقب.

وكانت النهاية المأساوية في أكتوبر/تشرين الأول 1948، عندما احتلت القوات الصهيونية النقب، ثم استولت على أم الرشراش (إيلات لاحقاً) في 10 مارس/آذار 1949 دون إطلاق رصاصة واحدة، بعد أن أصدر غلوب باشا أوامره بالانسحاب من المنطقة [165].

[161] صالح الجبوري: محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، 2014، ص244 (رئيس هيئة الاركان العراقية في حرب 48)

[162] التل: كارثة فلسطين، مرجع سابق،ص427

[163] التل: كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص286

[164] الجبوري: محنه فلسطين، مرجع سابق، ص 246

[165] الجبوري: محنة فلسطين، مرجع سابق، ص268-285

2- المنطقة الجنوبية: مسؤولية الجيش المصري:

تولى الجيش المصري مسؤولية المنطقة الجنوبية، التي امتدت من منطقة الخليل شرقاً حتى الساحل غرباً. وعلى الرغم من محدودية حجم القوات المصرية المُكلفة بهذه الجبهة الواسعة، فإن أداءها في المراحل الأولى من الصراع كان متميزاً من الناحيتين التكتيكية والمعنوية[166] تقدمت القوات المصرية بقوةٍ صغيرةٍ لا تتناسب مع ضخامة المهمة واتساع رقعة العمليات، إلا أنها تمكنت من تحقيق تقدم ميداني ملحوظ، حيث استطاع الوصول إلى منطقة أسدود واحتلال ثلاث مستعمرات يهودية في جنوب فلسطين، وتوقف هناك في حالة دفاعية بحته دون أي عمليات هجومية[167] وقد حافظت هذه القوات على مواقعها التي وصلت إليها حتى تاريخ 11 يونيو/حزيران 1948 (قبيل الهدنة الثانية)، وأظهرت مقاومة شرسة ضد المحاولات اليهودية المتكررة لزحزحتها، مما حول المعارك في هذه الجبهة إلى حرب استنزاف[168] وقد قام الطيران الحربي المصري بأداء فعال في دعم العمليات البرية، حيث شن غارات متعددة على تل أبيب وأهداف استراتيجية أخرى، مما ألقى الرعب في صفوف القيادة الصهيونية وعطل قدراتها اللوجستية. ومع ذلك، فإن الطبيعة التدميرية للقوة الجوية—رغم فاعليتها النسبية—لم تكن كافية لاحتلال الأرض أو تحقيق نصر استراتيجي حاسم، خاصة في ظل غياب تخطيط بري هجومي طموح لاستغلال هذا التفوق[169].

وبدأ هجوم القوات اليهودية على الجيش المصري في جنوب فلسطين في 1948/11/23، إذ ظهر فشل التنسيق العربي في معركة الفالوجا (أو الفلوجة) التي شكلت مثالاً صارخاً على انعدام التنسيق العسكري العربي وتباين الأولويات بين الدول المشتركة في الحرب. فمع بدء الهجوم الصهيوني الكبير على الجبهة الجنوبية في 23 نوفمبر/تشرين الثاني 1948، وجد اللواء المصري المحاصر في الفالوجة نفسه دون دعم يذكر. وفي 15 نوفمبر/تشرين الثاني 1948، تقدمت مصر بطلب رسمي إلى الملك عبد الله الأول—بصفته القائد العام للجيوش العربية— للمساعدة في فك الحصار عن اللواء، إلا أن الجنرال غلوب باشا (القائد الفعلي للجيش الأردني) رفض تقديم أي دعم عسكري [170] وبقيت هذه القوات محاصرة من أكتوبر/تشرين الأول 1948 حتى فبراير/شباط 1949، حيث تم فك الحصار في النهاية عبر اتفاقية استسلام سلّمت بموجبها القوات المصرية مواقعها للقوات الصهيونية[171]. * وكانت ذروة المأساة في 25 ديسمبر/كانون الأول 1948، عندما شنّ الفيلق الصهيوني هجوماً واسعاً أدى إلى سقوط منطقة العوجة، وتوغّل لاحقاً داخل الأراضي المصرية في سيناء، قبل أن ينسحب تحت ضغوط دولية[172].

---

[166] الحسيني: أسباب كارثة فلسطين وثائق وأسرار، مرجع سابق، ص290-291

[167] الجبوري: محنة فلسطين، مرجع سابق، ص245

[168] الجبوري: محنة فلسطين، مرجع سابق، ص325

[169] نفس المرجع، ص 604

[170] التل: كارثة فلسطين ،مرجع سابق، ص 480-483

[171] بن غوريون :يوميات الحرب، مرجع سابق، ص 660

* كانت الفضيحة الكبرى ان اليهود حاصروا لواء كامل، ولم يتم تعزيزه من القاهرة أو من غيرها وفك الحصار عنه، وظل محاصرا في الفلوجة من أكتوبر 1948 حتى فبراير 1949.

[172] بن غوريون: يوميات ،مرجع سابق، 1947-1949،

3- الجبهة الشمالية: المحاذية للبنان وسوريا

شملت مسؤولية الجبهة الشمالية المنطقة الممتدة من رأس الناقورة على الساحل غرباً إلى طبريا شرقاً، حتى نقطة الالتقاء مع حدود منطقة العمليات العراقية[173] وعلى عكس التوقعات، كان أداء القوات العربية في هذه الجبهة—المكونة أساساً من الجيش السوري والجيش اللبناني—محدوداً ومتردداً، إلا أن القوات السورية تمكنت من تحقيق تقدم تكتيكي محدود عبر السيطرة على مستعمرة "مشمار هايردن"، وأظهرت صموداً ملحوظاً في الدفاع عنها ضد الهجمات الصهيونية المتكررة التي باءت بالفشل، غير أن هذا النجاح الدفاعي لم يتطور إلى هجوم استراتيجي لتعزيز المكاسب، وتم في نهاية المطاف إخلاء المستعمرة بموجب بنود اتفاقية الهدنة الدائمة، مما أضاع مكسباً عسكرياً مهماً [174] أما القوات اللبنانية بكونها الأضعف فقد اتسم موقفها بالحذر الشديد والتردد، حيث لم يتجاوز في تحركاته منطقة الناقورة على الحدود[175] وكانت النتيجة توقيع اتفاق استسلام لاحق، كرّس السيطرة الصهيونية على هذه المناطق.

ثالثاً- أثار ونتائج التدخل العسكري العربي

كشفت حرب 1948 عن فجوة هائلة بين الإمكانات العسكرية العربية النظرية والنتائج الكارثية على الأرض، والتي يمكن تفسيرها بعوامل التفكك الداخلي، وعدم الجدية، والتنسيق السري مع العدو.

وفقاً لتقرير استخباراتي لوكالة CIA أورده هيكل ومؤرخ في 27 يوليو/تموز 1948—أي بعد شهرين من التدخل الرسمي—كانت أرقام القوات على النحو التالي:

قوات	الأردن	العراق	مصر	سوريا	لبنان	السعودية	متطوعين
داخل فلسطين	6,000	9,000	5000	1,000	_	3,000	3,000
قرب فلسطين	4,000	1,000	8000	1,500	1,800	-	3,500

وبهذا يكون مجموع القوات العربية في فلسطين 27,000 جندي وبالقرب منها 19,800 جندي، أي ان المجموع الكلي 46,800 جندي فقط.

في المقابل، تمكّن الطرف الصهيوني من حشد قوة بشرية هائلة بلغ مجموعها 97,800 مقاتل، موزعة كما يلي:

قوات ضاربة متحركة	17,000
قوات نصف متحركة	18,000
قوات الهاغانا	50,000
قوات الأرجوان	12,000
قوات تشيرون	800-400

(173) التل: كارثة فلسطين، مرجع سابق،ص190

(174) الجبوري: محنة فلسطين، مرجع سابق، ص 324

(175) بن غوريون: يوميات، مرجع سابق، ص665 ؛ بنود اتفاق الهدنة بين لبنان واسرائيل https://tinyurl.com/2ep92kwc 2024/6/20

وهذا التفاوت—على الرغم من إمكانية تعويضه لو توافرت الإرادة السياسية—يكشف أن الخلل لم يكن في القدرات فحسب، بل في غياب الإستراتيجية الموحدة والرغبة الحقيقية في تحقيق النصر، وفاقمت الخلافات العربية والمفاوضات السرية من حدة الكارثة والانقسام السياسي الحاد بين القيادات العربية، مما أدى إلى قبول هدنات غير مشروطة استغلها الطرف الصهيوني لإعادة التنظيم والتسليح والأخطر من ذلك، كشفت الوثائق عن مفاوضات سرية مكثفة—خارج الإطار الرسمي العربي—بين الملك عبد الله والممثلين الصهاينة. فقد عقد اجتماعات سرية قبل انسحاب البريطانيين، واستضاف شخصيات يهودية بارزة مثل "الياهو ساسون وموشيه دايان" في قصره بالشونة. كما أجريت لقاءات أخرى في القدس بواسطة عبد الله التل كممثل للملك اثناء الحرب[176].

من المهم الإشارة إلى أن دخول الجيوش العربية أسفرت عن كارثة مروعة، نتيجة غياب الجدية في الموقف العربي والخلافات والخيانات العربية الداخلية والضغوطات الغربية اثناء الحرب.

والأكثر إثارة وغرابة يكشف زيف الادعاءات العربية بالتحرك العسكري لاستعادة فلسطين حينها، أن الحرب بدأت فعليا وفي حوزة الشعب الفلسطيني نحو 80% من أرضه، وذلك قبل تدخل الجيوش العربية. ولكن ما حدث بعد هذا التدخل العسكري كان أن حصل اليهود على أعظم مرحلة لهم في التوسع الصهيوني بعد التدخل العربي العسكري في 15 مايو/أيار 1948، لتكن هذه المرحلة هي المرحلة الأخيرة من تمكين اليهودي من فلسطين، بمعنى أنه في وقت تواجد الجيوش العربية. سقطت كلاً من عكا في 17 مايو/أيار، واللد والرملة والناصرة وشفا عمرو في 17 يوليو/تموز، والمجدل وأسدود وعراق السويدان في النصف الثاني من أكتوبر/تشرين الأول. أما منطقة النقب وهي تمثل نحو نصف مساحة فلسطين، فسقطت في مارس/آذار 1949. واذا ما جئنا نقدر مساحة فلسطين الكاملة تكون حينها ستةٍ وعشرين مليونا من الدونمات. وقد استطاع اليهود أن يمتلكوا ستمائةٍ وخمسين ألف دونمٍ خلال الفترة العثمانية بين 1882–1917، ثم تمكنوا من احتلال ثلاثة ملايين دونمٍ خلال فترة الانتداب البريطاني 1917–1948، أما بعد خروج البريطانيين وتسلم الحكومات العربية مسؤولية الدفاع، فقد استولى اليهود على ثمانية عشر مليونا من الدونمات. [177] هذه النتائج تدفع إلى ضرورة إعادة تقييم نقدية جذرية للأداء الرسمي العربي واستخلاص الدروس استعداداً للمعركة الحقيقية القادمة التي تمثل الإرادة الحرة للأمة العربية.

الخاتمة

تُظهر الدراسة أن احتلال فلسطين من قبل اليهود لم يكن نتيجة جهودهم وحدهم، بل جاء نتيجة تضافر دور الغرب الذي أسس المشروع الصهيوني عبر تقسيم البلاد العربية واختيار بعض الزعماء المحليين، واستعماره لفلسطين لمدة ثلاثين عامًا، وفي المقابل، لعب الملوك والرؤساء والأمراء العرب دورًا سلبيًا عبر السياسات المراوغة، ما أدى إلى إضعاف المقاومة الفلسطينية وتحويل الثورة من مواجهة مسلحة إلى

[176] بن غوريون: يوميات، مرجع سابق، ص644

[177] التل: كارثة فلسطين، مرجع سابق، ص603؛ دروزة: مأساة فلسطين، مرجع سابق، ص99، واخرين.

مسار تفاوضي والخصم فيها هو الحكم. وقد مكّن هذا التواطؤ والضعف العربي المشروع الصهيوني من تحقيق أهدافه، ممهّدًا الطريق لإعلان قيام دولة إسرائيل في 1948 على كامل أرض فلسطين.

ومن هذا المنطلق، تُبرز النتائج الرئيسة للبحث تقاطع الأدوار الغربية والعربية في تمكين اليهود من احتلال فلسطين وهي التالي:

أ- الدور العربي ممثلاً بالزعماء والملوك العرب

1- قدّم بعض الملوك والأمراء العرب تنازلات سياسية واستراتيجية للغرب بدعوى حماية مصالحهم أو الحفاظ على حكمهم، الأمر الذي ساهم ضمنيًا في تسهيل استيطان اليهود.

2- ساهم الزعماء العرب في إيقاف الثورة الفلسطينية والحد من نشاط الحركات المسلحة التي اختارت المواجهة المباشرة مع اليهود والبريطانيين، مستخدمين في ذلك حججًا وذرائع واهية.

شارك بعض الساسة العرب في جر الممثلين الفلسطينيين إلى مباحثات ومفاوضات حالت دون تقديم دعم فعّال للشعب الفلسطيني، أدت إلى إحباط الجهود الثورية، وأسهمت في إقصاء القيادات الفلسطينية عن دورها في قيادة الشعب الفلسطيني.

4- سعى بعض الزعماء لتحقيق مصالح شخصية وسلطوية، ما دفعهم لاتخاذ خطوات وقرارات ساهمت في تقسيم فلسطين، ومكنت اليهود من السيطرة على كامل أراضيها.

5- أظهرت مواقف الزعماء والملوك العرب تناقضًا واضحًا مع التوجه الشعبي الفلسطيني الذي كان يميل منذ البداية إلى المواجهة والقتال.

ب- الدور الغربي ممثلاً بحكوماتهم

1- لعب الغرب الدور الرئيسي في تنظيم وتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، وأقرّ القوانين واللوائح التي مكّنتهم من شراء الأراضي وتأسيس المستوطنات.

2-وفّر الغرب لليهود شرعية قانونية لإقامة دولتهم من خلال المؤتمرات الدولية والوعود السياسية.

3-استغل الغرب حالة النزاعات والانقسامات بين العرب، وسعى إلى تغذيتها، بما سهّل تنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين.

4- قدّم الغرب، وفي مقدمته الحكومة البريطانية والولايات المتحدة الامريكية، دعماً واسعاً ومنظماً للمشروع اليهودي.

5- قام الغرب بتقسيم البلاد العربية وبسط نفوذه عليها، وتفردت بريطانيا باستعمار فلسطين، ممهدةً لاحتلالها من قبل اليهود.

جـ-تبرز المواقف والمحطات التاريخية العربية التي عبرت عن الموقف العربي تجاه فلسطين وهي التالي:

1- الاستعانة بالغرب ضد الدولة العثمانية رغم إدراكهم خطورة ذلك على الأمة العربية والإسلامية.

2-القبول بالتقسيم الغربي للمنطقة العربية والاكتفاء بالتعيينات البريطانية في الأجزاء المقسمة. 3- الرضوخ لسيطرة بريطانيا على فلسطين لمدة ثلاثين عامًا. 4-إفشال الثورة الفلسطينية 6- منح اليهود ما تبقى من فلسطين في حرب 1948.

د- ساعدت الغرب عدة عوامل في تنفيذ المشروع الصهيوني في فلسطين، أبرزها: 1- ظهور شخصيات عربية طموحة تسعى لمصالحها الشخصية. 2-وجود خلافات بين الأمراء والملوك العرب، 3- ضعف بعض الساسة العرب فكريًا وسياسيًا ما جعلهم عرضة للخداع 4- ضعف الواقع

الداخلي للمجتمع العربي فكريًا وثقافيًا وغياب المعايير التي تقيم الكفاءات القيادية، مما أسهم في صعود شخصيات غير كفؤة إلى دفة القيادة.

هـ – تعود الأطماع والسياسات الغربية في فلسطين إلى ما قبل نشوء الحركة الصهيونية، في وقت تجاهل فيه الحكام العرب خطورة هذه التوجهات.

و– إن ضياع فلسطين لم يكن وليد قوة اليهود، بل جاء نتيجة تفاعل عوامل مشتركة في محورين رئيسيين: الأول داخلي يتمثل في ضعف الموقف العربي العام إضافة إلى ارتباط عدد من الزعماء والملوك العرب بمخططات الاستعمار البريطاني، والثاني خارجي يتمثل في الدعم الغربي المنظم والمتواصل لمشروعهم اليهودي الصهيوني.

ز– تُظهر الدراسة أن التحليل التاريخي لقضايا الأمة وفق أسس ومنطلقات ثابتة يساهم في تعزيز وعي الأجيال العربية بفجوات القوة والخلل في الموقف العربي تجاه قضاياها الكبرى. ويكشف عن نقاط القوة والضعف في القيادة والمجتمع العربي، ويوفر قاعدة لفهم العوامل الداخلية والخارجية التي أثرت في مسار القضية الفلسطينية. ومن ثمّ، يساعد هذا الفهم على التعلم من الماضي بهدف تعزيز الوحدة العربية بمعناها الواسع، وصياغة استراتيجيات أكثر فاعلية لحماية الأمة العربية، مع التمسك بالقيم الدينية في مواجهة التحديات المستقبلية.

التوصيات:

1. الاعتماد على القرآن الكريم كمنهجٍ عملياً وفكرياً أساسي لفهم طبيعة الصراع مع الأعداء التاريخيين والمعاصرين، والاستفادة من عبرهِ في كشف مكر اليهود وخداعهم، باعتباره مصدر قوة وعزة الأمة العربية.

2. إعادة دراسة أسباب تمكن اليهود من احتلال فلسطين، بهدف اصلاح الخلل والاستفادة من الأخطاء بعدم تكرارها، وعدم اغفال الدور العربي الفاعل الذي قد يسبب اغفاله الضياع الكبير للقضية.

3. تعميق الوعي التاريخي لدى النخب السياسية والعسكرية، من خلال دراسة تجربة الرسول صلى الله عليه واله وسلم في التعامل مع اليهود، والاستفادة من دروس فلسطين.

4. إعادة النظر في معايير اختيار وترشيح القيادات السياسية والعسكرية، مع التركيز على ضرورة توفر القيم المثلى والقوة النفسية والعزيمة الصلبة فيمن يتولون القيادة.

6. الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية في مواجهة التيارات الفكرية المستوردة، والتصدي لمحاولات تغريب المجتمع العربي وفصله عن جذوره الحضارية.

7. تعزيز الوحدة الوطنية والقومية ودرء محاولات التفرقة بين مكونات الأمة، مع التأكيد على أن قوة العرب تكمن في تماسكهم ووحدتهم.

9. دعم المقاومة الفلسطينية مادياً ومعنوياً، ورفض كل أشكال التطبيع مع الكيان الصهيوني.

10. ضرورة دراسة وتوثيق الرواية التاريخية للأحداث ونشرها على أوسع نطاقٍ، لمواجهة حملات التزييف والتشويه التي يتعرض لها التاريخ العربي والإسلامي، والاعتراف بالتقصير العربي في حق المقدسات والشعب الفلسطيني يُعد الخيار الحكيم لتلافي القصور وإصلاح الواقع حالياً خاصة أمام ما تواجهه أمتنا من مكر غربي اصبح ظاهر للجميع.

المراجع

[1] إسلام جودت؛ العلاقات الصهيونية البريطانية في فلسطين1936-1948م، غزة، 2009.

[2] السيد القائد عبد الملك بن بدرالدين: مكتب السيد، تطبيق البينات، 19-5-1446هـ

[3] أحمد غنيم: وعد بلفور بين عصبة الأمم وصك الانتداب، مجلة قضايا إسرائيلية، عدد 65، مركز مدار للأبحاث، رام الله، 2017

[4] أمين الحسيني: أسباب كارثة فلسطين، أسرار مجهولة ووثائق خطيرة، دار الفضيلة، لبنان

[5] الحاج أمين الحسيني: مذكرات، الأهالي، دمشق، 1999

[6] احمد عبد المنعم: جامعة الدول العربية 1945-1985 دراسة تاريخية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1986

[7] احمد حسين، حسين طه: موقف المملكة الأردنية الهاشمية من القضية الفلسطينية، دراسة تاريخية، دار المعتز، عمّان، 2016

[8] إبراهيم عبد العال: بريطانيا والصراع العربي/ العربي خلال الربع الأول من القرن العشرين، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، مجلد 28، 105، جامعة الكويت، الخالدية،2002

[9] الملك عبدالله بن الحسين: مذكرات الملك عبد الله ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012

[10] بلال شاكر: فرنسا والقضية الفلسطينية من نابليون إلى ماكرون، دار الجنان، عمّان، 2021

[11] جريدة فلسطين؛ العدد 42-3233 يوم الثلاثاء 21/ ابريل/ 1936م

[12] جنسين: مؤامرة فلسطين ج2، دار القومية للطباعة والنشر، القاهرة،1959

[13] جورج أنطونيوس: اليقظة العربية، ترجمه ناصر، احسان، دار العلم للملايين ، بيروت، 1987

[14] ديانا زياد القاسم: المؤرخون الفلسطينيون والمشروع الصهيوني في فلسطين(1917-1948) دراسة تاريخية تحليلية، أطروحة ماجستير، جامعة النجاح الوطني، نابلس، 2021

[15] دافيد بن غوريون: يوميات الحرب 1947-1949 مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، 1993

[16] صالح الجبوري رئيس هيئة الأركان العراقية في حرب48: محنة فلسطين وأسرارها السياسية والعسكرية، المركز العربي للأبحاث والدراسات السياسية، بيروت، 2014

[17] صبري جريس: تاريخ الصهيونية (1862-1948)، ج1 مركز الابحاث منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1977

[18] صبحي ياسين: الثورة العربية الكبرى في فلسطين 1936-1939، دار الهنا، دمشق،1961

[19] عبد الله التل: كارثة فلسطين (مذكرات)، دار الهدى، القاهرة، 1959م.

[20] علي مصلح هائل: نشأة الصهيونية المسيحية في الولايات المتحدة الأمريكية، مجلة الجامعة الوطنية، اليمن، 2018

[21] عبد الوهاب الكيالي: تاريخ فلسطين الحديث، مؤسسة الدراسات والنشر العربية، عمان 1990

[22] عبد الله بن عامر: تاريخ اليمن مقبرة الغزاة، ج2، دائرة التوجيه المعنوي، صنعاء، 2019

[23] عبد الرحمن نموس: تاريخ سوريا الحديث من (1918-2000)، زقاق الكتب، دمشق، 2022

[24] عصام غريب: الحاج محمد أمين الحسيني ودوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897-1974)، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، بيروت، 2014

[25] فدوى احمد نصيرات: الحركة الصهيونية في فلسطين 1911-1914م صحيفة فلسطين مصدرا، . جامعة فيلادلفيا ،المجلة العربية للعلوم الإنسانية، عمان، العدد 40/147، 2022

[26] محمد أمزيان: دور الأنظمة العربية في اغتيال فلسطين ونكبة 1948، مجلة التمدن، المجلد1، عدد 181-193 ،جامعة مالايا ، كوالالمبور، 2021

[27] محمد الافريقي: مذكرات المجاهدين في معارك فلسطين 1948، اليقظة العربية، دمشق، 1951

[28] محمد عزة دروزة؛ القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ج2، المكتبة العصرية، بيروت، 1959

[29] محمد عزة دروزة: حول الحركة العربية الحديثة، ج6، المطبعة العصرية، القاهرة،1949

[30] محمد عزة دروزة: حول الحركات العربية الحديثة ج1، المطبعة العصرية، صيدا، 1950

[31] محمد عزة دروزة: مأساة فلسطين، اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، دمشق،1959

[32] محسن محمد صالح: حقائق وثوابت القضية الفلسطينية، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، 2025

[33] محمد لبادة النابلسي: ثورة فلسطين الكبرى، وزارة الثقافة الفلسطينية، رام الله، صدرت الطبعة الأولى عام 1936

[34] محمد حسنين هيكل: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل، ج1، دار الشروق، القاهرة، 1996

[35] محمد عاشور، رانيا مصطفى، مدحت عبد الحارث: العائلات الرأسمالية اليهودية ودورها في السياسات العالمية، ببلومانيا لنشر والتوزيع، القاهرة، 2021

[36] محمد عقل: دور الجيش العراقي في حرب فلسطين (1948-1949) ج1، e-kutub ltd (شركة بريطانية)، لندن، 2023

[37] محسن صالح: مذكرات في القضية الفلسطينية، الزيتون لدراسات والاستشارات، بيروت، 2021

[38] محمد فريد: معاهدة 6391 واثرها في العلاقات البريطانية حت نهاية الحرب العالمية الثانية، الزهراء للأعلام (اصدار اصلي جامعة ميشيغان)، 2007

[39] مؤسسة الدراسات الفلسطينية www.palestine-studies.org: بيان القيادة العامة للثورة العربية في سوريا، وثائق فلسطين

[40] مؤسسة الدراسات الفلسطينية: قرار الحزب الديمقراطي في مؤتمره بشأن فلسطين عام 27يونيو 1944،

[41] مؤسسة الدراسات الفلسطينية www.palestine-studies.org: مخرجات المؤتمر العشرون الصهيوني

[42] نبيل السهلي: التحولات الديمغرافية للشعب الفلسطيني، صامد اقتصاد، عمان

[43] نجدة صفوة: الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية، الساقي، بيروت، 1999

[44] وليد الخالدي: كي لا ننسى قرى فلسطين التي دمرتها إسرائيل سنة 1948 وأسماء شهدائها، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت،1997

[45] وثيقة المؤتمر العربي الأول المنعقد في القاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سن جرمان في باريس، صادر عن اللجنة العليا لحزب اللامركزية بمصر، القاهرة، 1913

[46] هنري لورنس: مسألة فلسطين، ج1،ط2 المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، 2009

[47] هنري لورنس: مسألة فلسطين ج2، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، 2006

[48] هنري لورنس: مسألة فلسطين ج3 ط2، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، 2009

[49] هنري لورنس: مسألة فلسطين ج4 ط2، المركز القومي للترجمة والنشر، القاهرة، 2009

[50] يلماز أوزتونا: تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان سليمان، مؤسسة فيصل للتمويل، استانبول، ط1، 1988

[51] http://www.raya.com

[52] https://tinyurl.com/zmbkhupx

[53] https://tinyurl.com/mbwf7aud

[54] https://tinyurl.com/yexcnccn

[55] https://tinyurl.com/yvwbd4md

[56] https://tinyurl.com/2w3468zp

[57] https://tinyurl.com/ekr7j2wd

[58] https://tinyurl.com/ekr7j2wd